

مقالات فاتح القسطنطينية



"إذا كنتَ في كل صباح تستيقظ فتتنظف، ثم تدعو الله تعالى بقلب خالص، أن يحقق لك أهدافا نبيلة، فإن الله تعالى لا شك سيجيبك".

(إسلام كريموف، الرئيس الأوزبكي)

مقالات فاتح القسطنطينية / ١^(١)



من "سما"^(٢) حيث الفكر سما

حين يقصد المرء مستشفى فإنَّ الغرض دائماً يكون هو الاستشفاء من أسقام الجسد وأمراضها، والمنتظر عادة هو أن يلتقي بأطباء وممرّضين في مقابل مرضى ومعلولين؛ هؤلاء يعانون ويأملون في الشفاء، وأولئك يُبدعون في استعمال معلوماتهم لوصف الدواء.

لكننا هذه المرّة -على غير العادة- دخلنا مستشفى في زمرة من الإخوة الأتراك المتفنين في الإحسان، يترأس وفدنا الشيخ عثمان ولد الشيخ أحمد، وهو عالم موريتاني، ووزير سابق في بلده، صاحب حظوة ومكانة اجتماعية. دخلنا المستشفى وليس بيننا من يعاني أو يتألم من سُقم الأبدان، غير أن جميعنا يقاسي الأمرين من وهن الأديان، ويعلن الويلين من الخلل في حضارة البلدان...

توجّهنا إلى مكتب المدير، فاستقبلنا بوقار، وبشّ في وجوهنا بشّ الأبرار، وهو رجل دمث الأخلاق، حسن الطالع، يلج القلوب دون أن يطرقها، يذكّرنا بالسلف الصالح من علماء الإسلام أمثال الرازي وابن سينا...

١ مقالات "فاتح القسطنطينية" هي ثمانية، نشرت في موقع فييكوس تباعا، وذلك أثناء تفرغي في تركيا، شهري جويلية وأوت من عام ٢٠١٠م.

٢ سَمَا: هو مستشفى sema، في إستانبول، للتجول افتراضيا في المستشفى انتقل إلى الرابط الآتي: <http://www.semahastanesi.com.tr/2009/excomponents/sanaltur/index.html>

فهل كان مدير أحسن مستشفى في تركيا، وأكثرها تطوراً، طبيياً، أو من سلك الأطباء؟

وهل أغرقنا في وصف محتويات المستشفى من خبرات بشرية، ووسائل تقنية؟

وهل شهّر لمستشفاه، وردّد مع المرددين: إنه أكبر... وأفضل... وأعظم؟ لا، لم يقع شيء من ذلك؛ لكنّه استضافنا في قاعة مُطلّة على بحر البوسفور، منها تری "جزر الأميرات"، وأجلّسنا حسب مقامنا، ثم أكرمنا بشاي أحمر -على عادة أهل الترك دوماً-، وسلّم لكل واحد منّا دفترًا وقلماً، وبدأ يحلّق عالیا في سماء الفكر والفهم، بعد أن استأذن واعتذر...

إنه العالم مصطفى أوزجان، خريج كلية "الإلهيات"، وأحد أبرز تلاميذ الأستاذ محمد فتح الله كولن، كان واعظاً في أكبر مساجد تركيا، وهو الآن بالإضافة إلى إدارة المستشفى، مديرٌ وعضو في إدارة أربع جامعات، منها ما هو في الوطن، ومنها ما هو خارجها...

من هنا تبدأ المفارقات:

فهل يُعقل أن يتولّى إدارة مستشفى خريج كلية للعلوم الإسلامية في عالمنا العربي، مثلاً؟ وهل يمكن للمرء أن يجمع بين إدارة مستشفى وإدارة جامعة، وهما ضربتان، في بلادٍ لا تطبق الواحدة منهما الأخرى؟

لا أنتظر الجواب... ولكن أواصل في تحليل حديث الأستاذ مصطفى:

فقد شرح لنا أنّ العالم ينقسم إلى منظومتين:

• منظومة نبوية مصدرها الوحي،

• ومنظومة فلسفية، معتمدها العقل...

أما الأولى فكلية شمولية، وأما الثانية فجزئية اختزالية... ولقد جُرِّيت المنظومتان عبر التاريخ، وكانت ثمار الأولى دائماً طيبة وخيرة، أما الثانية فكانت دوماً تُردي بالبشرية إلى الويلات والنكبات...

وفي القرون المتأخرة، عَرَفَ العالم فشل المنظومة البشرية الفلسفية، وُولدت محاولات في كامل العالم الإسلامي للنهوض والإصلاح، بكلِّ المناهج والطرق والوسائل... ومع جميع هذه الجهود، لم يتمَّ لهذه المحاولات النجاح المنشود، ولا التمكين المقصود...

فأين الخلل؟

يواصل الأستاذ قائلًا:

الخللُ يكمن في كون هذه المحاولات ركَّزت على الأوامر التشريعية، وأغفلت الأوامر التكوينية... ركَّزت على الشعائر وفقه العبادات، وأهملت أصول الإدارة والاقتصاد وفقه الحضارات... فما كان من غير المسلمين إلاَّ أن أخذوا قصب السبق في الأوامر التكوينية، وعَمَرُوا الكون، وشيَّدوا المدنيات، فتفوّقوا، وبزوا الأمم كلها... من هنا أوسد الأمرُ لغير المسلمين، مع أنَّ المسلمين يمثِّلون ما يقارب ربع العالم.

كلُّ ذلك، وقول الله تعالى يُتلى علينا، ونحن نؤمن به، ونعتقد صدقه، وهو القائل سبحانه: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٨)، ويقول تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه: ١٣٢)، ويقول جلُّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)...

• أين الخلل، إذن؟

الخلل في عجز المسلم -الحديث للدكتور مصطفى- وليس في قوَّة الكافر، ولقد استعاذ الرسول الكريم، سيِّد الأنام ﷺ "من العجز

والكسل" في الحديث المأثور، وعلمنا في أحاديث أن نستعِذ بالله منهما في دعائنا... فلا بدّ إذن أن يرتفع العجز عن المسلمين حتى يتحقّق لهم النصر، ويتمّ للبشرية السعادة والرفاه.

ومن جهة أخرى، لا بدّ أن ننظر إلى القرآن الكريم على أنه تجلّ لصفات الله تعالى: فهو من جهة التجلّي لصفة الكلام، ومن جهة أخرى هو التجلّي لصفة القدرة والإرادة في الكون... وعلى المؤمن أن يتمثّل هذه التجليات كلّها في أقواله وأفعاله، في سلوكه وصفاته...

فهل عندما يقول الواحد منّا -نحن المسلمين-: أنا مسلم، ولكنني سأنام، وأعتزل الحياة، ومع ذلك سأربح وسأفوز في العقبى... يكون صادقاً؟ وهل يمكنه أن يتنصر على الكافر العامل المجدّ المجتهد؟
يجيب الأستاذ بحزم وانفعال:

لا، وألف لا... ففي الدنيا، هذا الكافر هو المتمكّن والمستخلف، وذاك المسلم هو المهزوم والذليل... ولكنّ أحكام الآخرة شيء آخر... ثم إنّ المسلم بهذا لم يراع صفتي القدرة والإرادة اللتين هما من أعظم تجليات صفات الله في القرآن الكريم، وهذا نوع من أنواع المعصية... طبعاً.

من هنا، فإننا نقرّر أنّه في أصول التشريع، لا يمكننا أن نأخذ شيئاً عن غير المسلمين، فقد اكتمل ديننا والحمد لله... أمّا في المجالات الأخرى، وفي أصول التكوين والعمارة، فإنّ العلوم وما توصّلت إليه البشرية مُشاع، وعلينا أن نستفيد منها، كما استفاد الغرب منّا يوم كنّا سادة في الأرض.

والتحدّي الأكبر الذي يعترضنا اليوم هو: كيف نفهم -في ضوء القرآن والسنة- أصول الحياة كلّها؟ من مثل:

ما هو الإنسان؟ وما هي الحياة؟ وكيف نحقّق أفضل شكل من

أشكالهما؟ وكيف نُعطي نظرة جديدة للعلوم الوضعية؟ وكيف نستفيد من العلوم والتكنولوجيا لسعادة الإنسان ولخير الحياة؟

يقصُّ علينا الأستاذ مصطفى حادثةً، وقعت له في إحدى الدول العربية، تدلُّ على هذه المفارقة بين الأوامر التشريعية والأوامر التكوينية، ويقول: كنا في إحدى البلاد العربية، فأخذنا أحد العلماء إلى مدرسة قرآنية كبيرة، يزاول فيها حوالي ٤٥٠ طالبا مختلف علوم الشرع، بجِدِّ واجتهاد... وهم في هذا غير مقصِّرين... غير أننا لاحظنا وبكل وضوح أنَّ هؤلاء الطلبة لا يعيشون عصرهم، وإنما يعيشون في القرون الخوالي، ويحيون عصورا غابرة، بكل ما تحمل الكلمة من دلالة.

والأستاذ كولن في أواسط الستينيات لاحظ هذه المفارقة، فأعمل فكره وجنَّد روحه لحلِّها، بكلِّ الوسائل والطرق... فكان-هو بنفسه- يدرِّس العلوم التقليدية والعلوم العصرية جنبا إلى جنب... ويستوعب التراث والفكر الفلسفي معاً... وكان هذا المنحى عنده جديدا على تركيا في ذلك العصر...

والسرُّ في نجاح الأستاذ كولن، هو أنَّه يؤمن أنَّ أيَّ فكر إذا لم يُقبَلْ لن يُكتب له النجاح، وأنَّ أيَّ فكر إذا لم تكن فيه إمكانية التطبيق لن يحقق شيئا. وعلى إثر هذا المنهج أسَّس الأستاذ دُورا للطلبة، على شاكلة دار الأرقم، ووضع لها مخطَّطا تربويا بديعا، منطلقا من قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (النور: ٣٦).

فلما تبَيَّن نجاح هذه الخطة، تسابق التجَّار والمحسنون في بناء العشرات من البيوت على شاكلتها... حتى عمَّ خيرها تركيا كلها، بعد أمدٍ قصير...

وكان الأستاذ فتح الله يستغل فصل الصيف لإقامة مخيمات للعلوم الشرعية، وللتدريب على أصول الإيمان والتزكية، والمعرفة والمعاشرة، منطلقاً من القرآن الكريم، وسنة المصطفى الأمين... فأقام أول مخيم سنة ١٩٦٧م، لمدة ثلاثة أشهر كاملة، وواصل فيها إلى غاية سنة ١٩٧٥م... وبعد هذه السنة غير الأستاذ منهجه وطريقته، وكان متميزاً بليوننة منقطعة النظير... وبعد سنة ١٩٨٥ أسس الأستاذ منهجاً للطلبة المتخرجين في كلية الإلهيات، بحيث ينقطع للدراسة المعمقة المتواصلة، متبتلاً، مجتهداً، محتسباً... إلى أن يتخرج...

وقبل ذلك، في سنة ١٩٨٠م، تحولت دور الطلبة "دور الأرقم" إلى مدارس نظامية رسمية، تمسّياً مع الظروف والأحوال... وقد فهم الأستاذ قوله تعالى، من سورة الكهف: ﴿وَلْيَنْتَلِطَفْ﴾ (الكهف: ١٩)، فهماً مبانياً للفهم التقليدي، الذي يفسرها بدلالة القاموس: "وليختف وليحذر"... لكن الأستاذ فسرها بمعنى "الشفافية والوضوح والظهور اللطيف، الذي لا يعطي الفرصة للشك والريب"... معناه هنا، وفي سياق التدافع الحضاري: بناء مدارس، ذات مقاييس عالمية عالية، قوية ومتميزة، متفوقة ورائدة... تفرض إيقاعها على الأمة كلّها، ولا يقدر أحد على إذابتها أو التكر لها...

من ذلك التاريخ إلى اليوم تحقق للمشروع من الإنجازات ما لم يتحقق لغيره، ففتحت مؤسسات في كلّ مناحي الحياة، وفي كلّ متطلبات الحضارة، إمعاناً في صناعة الإنسان السوي، وتركيزاً على الأوامر التكوينية إضافة إلى الأوامر التشريعية... ففتحت إلى هذه السنة، أي ٢٠١٠م، أكثر من ١٢٠٠ مدرسة في خارج تركيا، في حوالي ١٦٠ دولة، تتوزع على ستّ قارات... والآلاف من المدارس، بمختلف المسميات والأشكال

والمستويات، في داخل تركيا وفي جميع الولايات...

ثم اقتحمت "جماعة الخدمة" بهذا المنطق مجال البحث العلمي، والصحة، والاقتصاد، والإعلام... وكل المجالات الأخرى، بفكر حضاري، يقوده الأستاذ بحكمة وروية، ويستجيب له المحبون بإخلاص وتфан: جامعات، ومجلات، وجرائد، ودور للنشر، وإذاعات، وقنوات فضائية، ومستشفيات، ومؤسسات إغاثة... الخ.

ومن المناسب التذكير بأن الأستاذ يقرر أن أعداء الأمة ثلاثة، ولعلّه في ذلك استفاد من أستاذه بديع الزمان النورسي:

الجهل،

والفقر،

والفرقة...

من هذه الثلاثية نطلق -كما يقول الأستاذ مصطفى- لبنني مشاريعنا، وليس لنا فكر إقصائي أو تبريري... وإنما فكرنا عملي بنائي حضاري... وليس هدفنا تركيا فقط، وإنما هدفنا أن نرشد العالم كله إلى الفكر القرآني التربوي الأخلاقي، هبة من الله تعالى، وأداء للواجب المنوط بنا...

* * *

أغمضت عيني، ثم فتحتهما... فإذا أنا داخل مستشفى.... لا داخل جامعة، أو كلية، أو مسجد جامع... أنا أمام مدير مستشفى راق، لا أمام مفكر مجرد أو واعظ محترف، أو صاحب نظريات ونظرات... فكر يسنده فعل، وفعل يسبقه فكر... في تناغم وتناسق نسيناه في عالمنا العربي منذ قرون...

انتهت الحصّة، وارتفعت الجلسة... وما حلت الحاضرة بعد في أوطاننا... فلنواصل المسير، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً...

مقالات فاتح القسطنطينية / ٢



جنازة في مدينة الإسلام

ليس للموعظة لغة ولا لسان...

ليس للعبرة بلد ولا عنوان...

ليس للموت حيز ولا مكان...

ولكن ثمة في الوجود قلوبٌ تنبض بالإحساس، تحملها صدور جُبلت على التعقُّل والتذكر والتفكير... وهنالك أرواح لبست أجساداً، وأجساد آوت أرواحاً، متى ما اتصلت رشحت الحياة من كلِّ جانب، وإذا ما انفصلت دبَّ السكون المطلق في الأوصال، فسُجِّل صاحبهما في قائمة الأموات إلى يوم الدين.

بعض البشر أجساد بلا قلوب ولا أرواح، كأنهم حجر صلد، أو جلمود صخر... وفيهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

بعض من الناس، على النقيض من هؤلاء، والله الحمد، قلوبٌ وأرواح بلا أجساد، وفي مثل هؤلاء يقول الشاعر:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

زرت تركيا مرارا، وفي كلِّ مرَّةٍ أكتشف عبرا جديدة نابضة بالحياة، فأشحن بطارية الإيمان والتقوى في قلبي، وأجد أسباب الإمكان الحضاري في عقلي، فتنتشط للمشاريع والمخططات جوارحي... ثم أعود إلى بلدي، وكلِّي رجاء أن نكون يوما ما في صف العثمانيين جنودا، ولنصرة دين الله أسودا...

وآخر إشعاع هزَّ كياني وهزَّ العالمين من قبلي، تلكم الملحمة العظيمة التي نسج خيوطها الذهبية "أسطول الحرية"، مصممة على فكِّ الحصار عن غزّة المكشومة المظلومة... فكان للأبطال -ياذن الله- ما أرادوا، بل أكثر مما خطّطوا؛ ووُلد على يدهم عهدٌ جديد، حان فيه خفوت نار الظلمة، وآن حينها إشراق شمس المسلمين الدافئة. وما كان لهذا النصر أن يتحقق لولا تلكم الأرواح الطاهرة من شهداء القافلة، الذين وهبوا أرواحهم فداء لحياة الملايين من بني البشر المظلومين... وما خذلت أبطال القافلة دولتهم، لكنها وقفت طودا شامخا وحصنا حصينا بجنبهم...

يومها، تحرَّك وجداني مع الحدث، وتحرَّك في كلِّ عرق نابض، فولدت من جديد، أنا الذي أقتل يوميا ألف مرَّة جراء انتكاسات بلاد العرب، وأهل الحي، ممن وصفهم مالك بن نبي بـ"الغاشي"... ونعتهم آخرون بـ"الرعا"، لكنَّ أصدق وصف فيهم قول الرسول الكريم: "غثاء كغثاء السيل".

* * *

وفي هذه الأيام الصيفية اللطيفة...

المكان: جامع "يونس أمره"، بمنطقة "أناكوي"، في الجهة الأوروبية من مدينة الإسلام.^(١)

١ مدينة الإسلام: هي إسلامبول، أو إستانبول اليوم، وهي القسطنطينية. ولقد أطلق عليها محمد الفاتح ﷺ هذا الاسم نسبة إلى الإسلام، وشيد فيها المساجد، وأعلى مقامها في تاريخ الأمم.

والزمان: بُعيد العصر من يوم الخميس، أواخر رجب الخير، من عام ١٤٣٠ للهجرة النبوية.

والحدث: شهود جنازة مهيبة، حضرها الرجال والنساء على السواء، كلٌّ من مصلاً... أَلْقِيَتْ فيها مواعظ، وتحركت مواجد، وفي كلِّ ما قيل لم أفهم كلمةً واحدة، ولم أفقه جملةً واحدة، إلّا ما كان تلاوةً لآية، أو قراءةً لحديث...

أَمَّنَ الحضور على الدعاء، وصلّينا الجنازة بعد النداء، ثم حُمِلَ النعش إلى مثواه مغادراً دار الابتلاء إلى دار الجزاء.

والحق أن هذه الجنازة كانت أكثر عبرةً لي من جنازات أخرى شهدتها؛ ذلك أن لغةَ اللسان صممت وخرصت، ثم تركت المساحة شاسعة للغة الوجدان، فرق القلب، ودمعت العين، واستذكرت الآيات القرآنية العظيمة، والأحاديث النبوية الشريفة، بعضها مما تلاه الواعظ، وبعضها مما لازم مثل هذه المواعظ:

- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

- ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢).

- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦، ٢٧).

ولقد شدَّ انتباهي تكريرُ الإمام قبل الصلاة حديثَ الرسول الكريم، مخاطباً المستمعين: "عش ما شئت فإِنَّكَ ميت"، ذكره مراراً، وبنبرات

مختلفة، ثم شرحه، وفصله، فأطال فيه؛ وهو في الأصل وصية من جبريل عليه السلام، أوصى بها نبينا الكريم، ثم إنه عليه الصلاة والسلام أوصانا بها، وها نحن نتوصى بها في كل يوم إلى يوم الدين... قال جبريل: "يا محمد، عَشْ ما شئت فإنك ميت، وأحب ما شئت فإنك مفارقة، واجمع ما شئت فإنك تاركه، واعمل ما شئت فإنك مجازي به، واعلم أن شرف الإنسان قيامه بالليل، وعزّه استغناؤه عن الناس".

* * *

الصلاة هي ذات الصلاة، في القسطنطينية أو في مكة، في إيران أو في طيطوان... أربع تكبيرات، وتلاوة للفاتحة، ودعاء... ولقد جال بخاطري عقبها سيل من الملاحظات والتصويبات:

• منها أنني لو كنت - لا قدر الله - رهين الانتماء المذهبي الإقصائي، لما اعتقدت إمكان أن يكون الهالك في رحمة الله، ذلك أن العصية المذهبية^(١) حملت بعض الحركات، وبعض الجهات، وبعض الجماعات، إلى الاستئثار برحمة الله، ودفعتهم إلى احتكار رضا الله، وأغرتهم بأنهم هم وحدهم وارثو الجنان، أما من خالفهم فهو من المبعدين، مهما ارتقى في سلم الإسلام والإيمان.

ألا لعنة الله على ضيق الأفق...

ألا لعنة الله على التعصّب والتحجّر...

• ثم إن الإسلام - بحمد الله - ونحن في مدينة الإسلام ليس محليّ النزعة، ولا قرويّ المشرب... الإسلام لم يختصّ بقبيلة، أو عرق، أو

١ انظر: المذهبية فقه لا عصبية"، فصل "مشكلتنا التصنيف والحد الفاصل"، من هذا الكتاب.

فئة دون أخرى... الإسلام دين عالمي اللّحمة، كوني الوجهة: ﴿رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، ﴿كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ (سبأ: ٢٨)... شاء من شاء، وأبى من أبى... ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ...﴾ (الإسراء: ١٠٠).

بهذا المنطق القرآني المتعالي، كان محمد الفاتح ﷺ قائدا مسلما، وكان بديع الزمان النورسي عالما مسلما، ولا يزال فتح الله كولن مجددا مسلما... فهم جميعا إخوة لأمرء وعلماء ومجددين مسلمين من الجزيرة ومصر، ومن الجزائر وعمان، ومن كازخستان والهند، أو حتى من أمريكا وأوروبا... من العالم كله، ومن الأرض قاطبة... حقا: "الإسلام رحم بين أهله"، "والحق رحم بين أهله"...

* * *

ومما استذكرت دبر الصلاة أولئك الناس الذين يسافرون إلى شتى البلاد، ولا يغادرون فيها الثلاثي المعتاد: السوق، والفندق، والمتحف... هذا إن زاروا المتحف.

فلا هم يتعرفون على الناس، ولا هم يَغشون المساجد، ولا هم يعتبرون أو يتعلمون؛ ولا يهرولون إلى جامعة، أو إلى عالم، أو مكتبة، أو دائرة للحوار...

وبعض الناس لا يعرف من البلاد إلّا معالمها السياحية، ثم يسارع إلى الحكم عليها بشئ أشكال الحكم القاسية، وقد يُخرجها -ظلما وزورا- من ربة الإسلام؛ والحال أنّه هو الذي يصطاد في الماء العكر، فلو صفى معدنه لصفى موره ومصدره... والله في خلقه شؤون.

* * *

أسدلَ مشهدُ الجنازة ستاره، وعاد الحضور إلى بيوتهم... إلى حين، وقصدتُ منزلي... إلى أجل؛ لا أعرف من بينهم أحدا، ولا يعرفني أحد؛ لكنني تيقنتُ أنهم إخوة لي في الملة، ودعوتُ الله لهم بالتوبة والمغفرة والرضوان، راجيا أنهم دعوا الله لي بالتوفيق والهداية والجنان... جمعنا الله في رحمته يوم لقائه، وجمع بيننا في جنة الخلد إخوانا على سرر متقابلين، ويومها ستعارف أكثر، وستذكرُ أمسيةَ مدينةِ الإسلام، ونحمد الله على هذه الجنازة وعلى هذا الحدث...

مقالات فاتح القسطنطينية / ٣



"كرملار آلي": قرية آوت ونصرت

إنَّه العُشُّ الذي آوى عصفورا مبللاً، فَقَدْ -فجأةً وبلا سابق إنذار- الحُضْنَ الحاضن، وعدمِ الحصن الحصين؛ وألْفَى رَوْحَه المرهفة اللَّيْنَةَ الرقيقة تُصارع أعتى العواصف والإعصارات، في بدايات ليل بهيم، لَمَّا تبدُّ أمارات الفجر الصادق في أفقه بعد... فيا ويح العصفور ليلتها، ذلك الذي أحرق به الخطر؛ ويا سعد العُشِّ يومها، ذلكم الذي آوى ونصر... بل إنَّ عصفورنا كان في تلك الحال، على حدِّ ما جاء في "ألوان وظلال":

"حمامةٌ بيضاء كالثلج،

رقيقة وادعة كالزهر،

وحولها شرٌّ وأشرار،

ومخلب وناب،

فيا ويل الحمام،

من نيوب كالمنشار... "ألوان وظلال، ص ١١٤).

لكنَّ الله فتح أمام ناظرِي الحمامة المسكينة "طِيبَةً جديدة"، فكان لها موعد مع "يثرب الجديدة"؛ وكأنَّ أهلها قد سمعوا همسات الرسول الكريم ﷺ، وهي تنفث في روع الأنصار: "أُرضيكم أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون أنتم برسول الله".

التفتَ أهل "كِرْكَلَارْ أَلِي" إلى بعضهم، آحادهم وزرافاتهم، وتفاءلوا خيرا، فاعتبروا قريتهم "طِيبَةَ العصر"، وهي التي آوت فتح الله، بعد محن "أدرنة" الهوجاء...

وفتحُ الله طالب مجدٍّ في قسم من أقسام رسول الله العظيم... فما بال الزمان الذي امتحن المعلم لا يمتحن تلميذه، ولو بعد حين؟

* * *

على متن سيارة مريحة، بجوار رفقة طِيبَةَ، حملني الأنس^(١) إلى ربوع "كِرْكَلَارْ أَلِي" (kırklareli)؛ حالما بساعات أفضَّيها على أرض القرية التي آوت ونصرت، قرية يصعب نطق اسمها على العربي، كما صُعب فهم كنهها على الأجنيبي: هي سرٌّ من أسرار تركيا العجيبة، موقعها غرب البلد على بعد كيلومترات من "بلغاريا"، التي كان بينها وبين الجارة ما بين الجار وجاره، من أوجه شبه أحيانا، ومن حزازات أحيانا، ومن تأثير وتأثر دائما وأبدا.

إنها قرية تقع على حدٍّ من حدود جغرافية الإسلام، إنها ناصية ناصعة

١ كنت رفقة الأستاذ الكريم أنس أركنه، صاحب كتاب: "فتح الله كولن، جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية"... وأصله من هذه المنطقة.

في "جسم الإسلام"، إنها جبينه الواسع العريض؛ فهي تارة تلتفت نحو الجنوب فتجابه حضارة "اليونان" بما فيها وبمن فيها، وهي أخرى تنو إلى الشمال فتقف أمام لون أحمر قاتم،^(١) ملأ الدنيا لعقود، فصُيغ من صُيغ، ونجا من نجا، ثم غادر وقد ترك "آثار الدم القاني، ملطّخا الظاهر والباطن، وذاها با بروعة المظهر والمشهد، وبروع المخبر والمحتد"...

"كَرْكَلَارْ أَلِي" لمن يدخلها أوّل مرّة مثلي، تشبه جندياً لم ينضُ ثوب الحرب عنه، فهي قلعة عسكرية منذ القدم، ثم ما لبثت أن تحوّلت إلى مأوى جديد للأجني البلقان من إخواننا البوسنيين الأطهار، يوم اكتووا بشرّاً لا يُطاق، ويوم وقفَ العالم كلّهُ متفرّجاً أمام مجزرة كانت وستبقى عارا وشناراً على جبين العصر والديمقراطية، وعلى مسلمي هذا الزمان، وعلى النظام الدولي، والمؤسسات العالمية...

* * *

لمدينة "كَرْكَلَارْ أَلِي" سحرٌ خاص، فأهلها غايةً في البساطة والرقّة ورهافة الحس، بل والعفوية والهدوء، وسرعة البدهاء... ليس بينهم غريب... فمن نزل بينهم صار منهم قبل أن يرتدّ إليه طرفه، ولا تعرفُ الوحشة إلى قلب نزيلها مسلّكا... وقرينتا في هذا ذات شبه آخر بالمدينة المنورة، ويثرب الخير، وطيبة الطيبة.

آوت القرية ونصرت مرّات ومرّات، ولكنّ التاريخ المعاصر سجّل لها يومين من أيام الله:

يوم آوت فتح الله، ويوم آوت لاجئي "البوسنة"...

فإن كنّا قد أشرنا إلى اليوم الثاني، فإنّ الأوّل كان يومَ اصطلى الأستاذ

فتح الله بنار "أدرنة"، ونال منها نزرًا مما نال المصطفى ﷺ بالطائف... فكان لأهلها فضلُ الأنصار وأجرُهم، ولقد وجد الرائدُ فتح الله من بين أهلها شبابًا كالصخور، ورجالًا كالصقور، لا يخافون الموت، ولا يخشون المهالك، شبابا يعشقون التحديات والمغامرات... إلّا أن يبلغوا الذروة أو يهلكوا دونها... لكنّ هؤلاء افتقدوا مَنْ يرسم لهم خطَّ المسير، إنهم لم يُرزقوا من يحدّد لهم الأهداف الدقيقة، ويصلها بالغايات العميقة... فجاء فتح الله على قَدَر...

* * *

سُرعان ما اكتشف فتحُ الله هذا السر، فشمر عن ساعد الجِد، وأسّس من بينهم ثلّة من الشباب الربّاني المحمّدي، وجنّدهم للخدمة، وأخلصهم لزرع الخير، فكانوا له طيّعين كموسى للخضر، عليهما السلام، يوم قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (الكهف: ٦٩). ولعلّ هؤلاء أحيانًا قد خالفوا وعدهم ولم يصبروا، ولكن أنى لهم أن يصبروا وما صبر نبي الله موسى، وهو من أولي العزم، فالقاعدة التي لا تتخلف إلى أبد الأمد، يختصرها قول الحكيم بإذن من ربّه العليم: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (الكهف: ٦٧-٦٨)... ولكن، ما أضرب موسى نفاذ صبره، ولن يضرب أهل "كِرْكَلَارْ أَلِي" نفاذ صبرهم... وما كلُّ الناس يدرك أسباب الأمور، ولا أسباب أسباب الأمور... وقد كان فتح الله، عازمًا لمنظومة أسباب تضع الحجر الأساس لنهضة جديدة في تركيا والعالم الإسلامي أجمع، وما "كِرْكَلَارْ أَلِي" إلّا محطة من محطاتها، ليست الأولى، ولن تكون الأخيرة...

* * *

وما كنتُ حاضراً يوم غادر فتحُ الله القرية، بعد ستَّة أشهر من المكث تحت ظلالها، وذلك يوم الجمعة الحادي عشر من مارس سنة ١٩٦٦م... أصلاً لم أُولد بعدُ، ولعلِّي كنت يومها جنينا في بطن أمِّي؛ لكنني على يقين أنَّ القلوب بلغت الحناجر، وأنَّ الدموع سقت التلال والوهاد، وأنَّ الحزن خيَّم على الربوع، فأحالتها إلى ما يشبه "المأثم"، وحين الشَّدِّ والفراق والمحن تُبلى الأنفس، وتظهر الطباع، ولقد ظهرت طباع بعض الناس، ممن ظنَّ أنَّ فتح الله صار -للأبد- حظَّ "كِرْكَلَارْأَلِي"، ولم يظنَّ يوماً أنه سيغادرها إلى "إزمير"، أو إلى مطار الخدمة ومصعدها، كما يحلو لي أن ألقبها.

غادر فتح الله، بُعيد صلاة الجمعة، وما غدر... لكنه، صابر وصبر... ولم تكن المغادرة بأسر عليه منهم، ولكنه تجلَّد ولم يُرهم من نفسه ضعفاً؛ حتى لا يضعفوا، ولا يرتبطوا بالشخص، بل بالفكرة... على وقع: "من كان يتبع فتح الله ففتح الله ذاهب، ومن كان يسير على نهج الخدمة فالخدمة باقية إلى يوم الدين..."

* * *

ما إن وصلنا "كِرْكَلَارْأَلِي" قبيل المغرب بقليل، حتى كنَّا على موعد للعشاء بالكفَّة مع ثلَّة من الشباب والأئمة، ولقد قيل لنا: "مَن دخل "كِرْكَلَارْأَلِي" ولم يأكل كفَّة، كمن وصل ماء زمزم ولم يرتو". ثم صلَّينا في مسجد صغير قديم. وبعدها أويْنَا إلى مقهى رحب، وبه عقدنا "مجلسَ صُحبة"، جمعَ القلوب إلى بعضها، والألسُنُ مختلفةً، لولا أنَّ الخير "أنس" آنسنا بالترجمة الفورية، فزاد لمجلسنا روعة إلى روعته... وقلت حينها: "ما أعظم ديننا، فهو الجامع، حتى وإن اختلف كل شيء: الأعراق،

والألوان، واللغات، والأعمار، والبلاد، والمستويات..."

حملنا الحديث إلى الجزائر في العهد العثماني، يوم قال أبو عبيد الله الزووي لعروج مستنجدا به ضدَّ العدو الكافر من الإسبان: "الجزائر لك، أو لأخيك، أو للذئب" فاستجاب وحملَ الراية، ودحر الشرك...

ثم عادت سفينةُ الحوار في مجلسنا إلى "سعة الأفق"، وإلى "رسالة المسلم في هذا العصر"، وإلى "وجوب التلاقي والتفكير الإيجابي المشترك، بعيدا عن منظومة الإعلام المزيّفة"... إلى أن حطّت بنا "طائرة الكلام" عند الشاعر نجيب فاضل، ذاك الذي كتب يوم استقلت الجزائر قصيدة رائعة بعنوان: "خيل الجزائر"... وأطلعت عليها بعد أيام في مكتب صديقي الكريم أنس، وهي بالتركية غير مترجمة...

ولقد تساءلت حينها: لماذا نجيب فاضل بالذات؟

وعلمتُ من فريد الأنصاري -رحمه الله- أنَّ الشاب فتح الله يوم تولى الإمامة في القرية الصغيرة "كِرْكَلَارْ أَلِي"، استدعى الشاعر نجيب فاضل، وما كان في الحسبان أن يستجيب، وهو حينها نجمٌ في سماء تركيا، تقصّر عن أفقه مدن كبرى مثل "أنقرة" و"إزمير" و"أدرنة"، فما بال القرية النائية البعيدة تدلي بدولها مع الدلاء، وترسل رسالة دعوة إلى الشاعر الكبير، وهي موقنة أنَّ طلبها لن يتحقّق، إلّا بمعجزة، وعصرُ المعجزات قد ولى؟

يقول الأنصاري: "فأنَّ يحلَّ الأستاذ نجيب فاضل بـ"كِرْكَلَارْ أَلِي" ضيفا على فتح الله، وهو الداعية الشاب المطارد في كلّ مكان، له أكثر من دلالة"، ويمكن أن نضيف كذلك: "أنَّ يحلَّ الشاعر على هذه القرية المباركة، أمرٌ له أكثر من دلالة..."

يقول الأنصاري واصفا تلك اللحظات السعيدة بأدبه الجم: "في تلك الليلة التفّ الشباب حول نجيب فاضل بيت أحدهم، واجتمعوا معه في العشاء جميعا على مائدة واحدة... وهنالك اكتشف نجيب فاضل عن قرب الداعية الشاب فتح الله كولن... كان الشاعر الروائي يقرأ في وجه فتح الله رواية درامية، سيكون لها أثر كبير في تغيير مجرى التاريخ".

* * *

ولن أنسى ما حييتُ تلكم الطرفة التي قصّها الأنصاري يوم ودّع الشاعر العبقرى نجيب فاضل "كِرْكُلَارْ أَلِي"، إذ كانت بها جريدة صغيرة محلية -ضيق الأفق- اسمها "آطَايُولُو" وكانت تنشر مقالات ضدّ الإمام فتح الله باستمرار.. ثم نشرت يوما مقالا ضدّ الأستاذ نجيب فاضل -بعد زيارته-، فأرسل فتح الله نسخة من المقال للشاعر الكبير، فكان أن نشر الأستاذ نجيب بعدها في مجلة "الشرق الكبير" -الواسعة الأفق- صورة كاريكاتورية ساخرة، هي عبارة عن مشهد كلب كبير ضخم الجثة، وإلى جانبه كلب صغير جدًّا، وكتب تحت الكاريكاتور تعليقًا ساخرًا نصه: "نحن نواجه هذا الكبير، فمن أين ظهر هذا الصغير".

* * *

أمّا نحن، فودّعنا مجلس فتح الله ونجيب فاضل، وعُدنا إلى مجلسنا وصحبنا، تدور بيننا كؤوس الشاي الأحمر، وفناجين القهوة التركية، حتى ناصف الليل أو زاد عن النصف، وودّعنا إخوة لنا في أقاصي البلاد الإسلامية، إنهم ممن قال فيهم الحكيم: "ربّ أخ لك لم تلده أمك"، نحسّ سويا، ونفرح سويا، ونحزن سويا، ونفكر سويا، ونعمل سويا... حتى وإن طالّت المسافة وبُعِدَت الشقة بيننا...

ودَّعت إخوتي وأنا ألعن ضيق الأفق بملء فمي: "لعن الله ضيق الأفق...
لعن الله ضيق الأفق... لعن الله ضيق الأفق"، ذلك أن ضيق الأفق يقتل
المواهب، ويهدر الطاقات، ويوجد التربة الخصبة لميلاد "فراعنة صغار"
و"مدَّعين كبار"... وما أكثر هؤلاء في بلاد الإسلام اليوم...

* * *

برهةً وجَّهت وجهتي شطرَ بلدي وموطني، وفكرت في أهلي وأقربائي،
ودعوتُ الله لي ولهم بسعة الأفق، وبالتوفيق، وبالتمكن، فسميت هذا
الدعاء "دعاء كِرْكَلازْألي"، قلت فيه:

"اللَّهُمَّ وَسِّعْ لَنَا فِي قُلُوبِنَا وَعُقُولِنَا، كَيْمَا نَسْتَوْعِبَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ،
وَقَدْ وَسَّعْتَنَا رَحْمَتَكَ... اللَّهُمَّ لَا تُمِتْ مَوَاهِبَنَا بِالانْتِمَاءِ الضَّيِّقَةِ... وَلَا
تَجْعَلْنَا مِمَّنْ يَهْدِرُ طَاقَاتِ الْأُمَّةِ بِالْعَصَبِيَّاتِ الْخَائِفَةِ..."

أَرْضُكَ يَا رَبِّ رَحْبَةٌ، وَكَوْنُكَ أَرْحَبُ... وَرُوحِي مُتَشَوِّفَةٌ لِلْسِّيَاحَةِ مِنْ
طَرَفِ الْكَوْنِ إِلَى طَرَفِهِ، عَبْرَ الْمَلَائِكَةِ مِنَ السَّنَوَاتِ الضَّوِّيَّةِ... اللَّهُمَّ إِنَّ
هَمَّتِي مُتَوَثِّبَةٌ إِلَى مَا وَرَاءَ الدُّنْيَا وَالْعَالَمِ الْجِسْمَانِيِّ، إِنَّهَا أَمَلَةٌ فِي عَطَائِكَ
وَرَحْمَتِكَ، طَامِعَةٌ فِي رِضَاكَ وَجَوَارِكَ...

اللَّهُمَّ أَعْطِ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِي وَإِخْوَتِي، وَكُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،
سُؤْلَهُ وَطَلِبَهُ، وَرِضَاهُ وَأَرْضَهُ، وَوَسَّعَ فِي مَدَارِكِهِ وَمَدَارِجِهِ، وَفِي فَلَاتِهِ
وَفَوْادِهِ، وَفِي عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ، وَفِي خَلْقِهِ وَآثَرِهِ... آمِينَ... آمِينَ... يَا رَبَّ
الْعَالَمِينَ".

مقالات فاتح القسطنطينية / ٤



وقف الكتاب والصحفيين أو:

من إسلام القوة، إلى قوة الإسلام

مع مرور الوقت، وأثناء التأمل في النصوص التأسيسية للإسلام، والنظر في حقيقة المسلمين عبر تاريخهم المشرق، ومقارنة ذلك بواقعهم اليوم في عهد النكسة والنكبة؛ تأكد لي بما لا يدع مجالاً للشك، أن الإسلام نزل للكبار، لا يفهمه إلا الكبار، ولا يستطيعه إلا الكبار...

نعم، اقتنعت أن الإسلام لا يأبه بالصغار، ولا يعتني بالأصغار، ولا ينفع من أثر سكنى الغار، وإضرار النار، وملازمة الفار...

فكلما أخلد إنسان، أو أمة، إلى الأرض، صار الإسلام أبعد عنه -عنها- من بُعد مشرق الكون عن مغربه؛ أي أن الملايير من السنوات الضوئية تحول بين الإسلام الحق وبين المتخلفين المتكسبين المرتكسين... فلا إسلام بلا قوة، ولا قوة بلا إسلام، هما وجهان لعملة واحدة، واسمان لحقيقة واحدة؛ دع عنك العملات المزورة، والأسماء المحرفة... فالיום وجب علينا أن نتحول من "إسلام القوة" إلى "قوة الإسلام" إيماناً بهذا البعد الحركي العالمي الحضاري لديننا الحنيف.

كان نبي الرحمة -وهو في أعلى مقام من مقامات قوة الإسلام- يحاور المشركين، والمنافقين، والملحدin، والمتمردين... ويدعو الجميع إلى الاحتماء بالدليل، والجدل بالبرهان: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿البقرة: ١١١﴾؛ بل إِنَّ الحوار عند رسول الرحمة لا ينطلق من مبدأ: أنا على صواب، يقيناً... وأنت على خطأ، يقيناً! بل على قاعدة: ﴿وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبا: ٢٤).

من هذه النافذة أطلَّ علينا "وقف الصحفيين والكتاب"؛ وهي مؤسسة خيرية، جمعوية، يدل عليها وصفها بالوقف، ذات مقاييس عالمية عالية؛ أنشئت بتشجيع من الأستاذ فتح الله كولن سنة ١٩٩٤م، بل هو الذي خطَّ لها خطواتها الأولى بأناة، ورسم لها مخطط السير بروية؛ فكانت البداية من تركيا، وفي تركيا، لأجل تركيا؛ ثم ما لبثت أن صارت عالمية بكلِّ المقاييس.

كان التشُّج سَيِّدَ الموقف في تركيا بداية الثمانينيات، وكان الناس يتقاتلون فيما بينهم، يقتل الواحد منهم الآخر لمجرّد كونه من الجهة الأخرى، حتى إِنَّ الناس لا يخرجون من بيوتهم ليلاً، وإذا صادف أن خرج أحد فإنَّ احتمال أن يُغتال أو يؤذى قائم وممكن؛ وهنالك تأمل الأستاذ في الحال والمآل، فرأى أَنَّ المثقفين والكتاب والصحفيين والسياسيين... وكلَّ من له أتباع ومستمعون ومهتمون، هو الأصل في المسألة، فإنَّ تسامحوا تسامح الناس، وإن تناحروا تناحر الناس، ووجد أنَّ الإسلام هو دين السلم والسلام، بلا منازع، وأنه دين الرحمة والمرحمة، بلا مثيل، بل هو دين التواصل بالصبر والحب... فشرع هو نفسه في محاوره كلّ الجهات، حتى التي يبدو أوّل وهلة أنَّها أعداء الإسلام والمسلمين، فكان يزورهم ويدعوهم لزيارته، ويدعو الناس في الخدمة إلى كسب قلوب كلّ من يعرفونه من أبناء البلد، مهما كان دينهم، وحزبهم، وإيديولوجيتهم، وسلوكهم... يقول مدير المركز: "عَلَّمَ الأستاذ كلّ واحد

مَنَّا أَنْ يَعْتَرِّ بِإِسْلَامِهِ، وَيُثِقَ فِي دِينِهِ، وَيُخْلِصَ فِي عِبَادَتِهِ، وَيُحَاورَ كُلَّ أَحَدٍ، بِلاِ اسْتِثْناءٍ". وَكانَ يَقولُ لَنا: "إِذا مَرَضَ أَحَدُ مِمَّنْ تَخْتَلِفونَ مَعَهُ، فَيُجِبُ أَنْ تَزوِروهُ فِي المَستَشفَى، حَتى إِذا فَتَحَ عَينَهُ لَم يَجد سِوى أَهلِهِ وَأَنتَـم... هَكَذا كانَ رَسلُ الرَحمَةِ يَـفـعـلـ".

وَلَقَد استَجابَ لَدَعوَةِ الحِوارِ كُلِّ الجِهاَتِ، مِن أَعلاها إِلى أَدناها، وَشارَكَ فِيهِ أَكْبَرُ أَسماءِ البَلَدِ، إِذْ كانوا جَمِيعاً مَبهَورينَ مَن كَونِهِ جاءَ مِن "عالمِ دِين"، وَمِصطَلَحِ "عالمِ الدِين" لَه دَلالَةُ تَـقـلـيـديَّةٍ سَـكـونيَّةٍ، لاِ حَضاريَّةٍ وَلاِ حَـركِـيَّةٍ، غَيرَ أَنَّ كَولَنَ خالَفَ النَموذَجَ المَعتادَ، وَغَيَّرَ البَرايِـمَ الكَلاسيكِيَّ، وَأَظْهَرَ شَـكْلاً جَـديـداً، غَيرَ مألُوفٍ فِي تَركِيا يَومِها، لِلعالمِ المَـسـلَـمِ، بِما آتاهُ اللهُ مَن مَواهِبِ فَطَـريَّةٍ، وَمَن قَـدَراتٍ عَـلَـمِـيَّةٍ، وَمَن آفاقِ مَـعـرَـفِـيَّةٍ، وَمَن رَؤىِ مَـسـتَـقـبَـليَّةٍ...

اليوم، على إثر هذه البدايات تأسَّس وقف الكتاب والصحفيين، وهو يحوي سبعة منتديات تعنى بالحوار، هي:

- منتدى "أبانت" (Abant platform) وهو منتدى عالمي للحوار بين الحضارات، وبين الديانات، وبين التيارات الكبرى... وقد نَظَّم الكَثيرَ مِنَ المَـلـتَـقِـياتِ العالَمِـيَّةِ، مَن أرواسيا إِلى أَمَريـكا... إِلى الكَثيرِ مِنَ مَناطِقِ الصِراعِ فِي العالَمِ.

- مَنتـدى الفِـنِّ وَالثَـقَافَةِ (Culture and art platform): يَشارَكَ فِيهِ أَكْبَرُ المَـثـقَـفِـينَ وَالفَنانينَ، وَالشَـخْـصِـياتِ الشَـهِـيرَةِ، مَن أُمثالُ لَـاعِـبِ كَـرَةِ القَـدَمِ، وَالمَـغـنِـينَ... أَيُّ كُلِّ مَن لَه شَـعْـبِـيَّةٌ فِي مَجالِ الإِـعـلامِ، وَيتَناقِشونَ قُضايَا التَـسـامُحِ، وَالحِوارِ، وَغَـرسِ قِـيَمِ الحَبِّ، وَالصَدَاقَةِ، وَالمَـعـاشَـرَةِ الحَسَنَةِ، وَبِذِ سَـلَوكِ العَـنـفِ وَالإِـقْـصاءِ وَالتَـصـادُـمِ... الَّذي يَودِي بِالبَلَدِ إِلى المَـهالِكِ لاِ مَحالَةٍ.

- منتدى الصحفيين (Medialog platform): وهو خاص بالصحفيين من كلِّ وسائل الإعلام، ومن كلِّ الاتجاهات، يَطَوِّرون فيما بينهم أسلوبا صحفيا هادئا مسؤولا، ويزيلون فتائل الجدل الخائق، ويهَجِّرون أسلوب التعبير والشتم والسبِّ غير المبرَّر، وكلُّ ما يشوِّش على القيم والأخلاق وعلاقات المواطنة...

- منتدى حوار الأديان والثقافات (Intercultural dialog platform): وهو شبيه بمنتدى "أبانت"، لكنه يهتمُّ بداخل تركيا، وينظِّم حوارات بين المسلمين والمسيحيين، وبين المسلمين والموسويين، وبين المسلمين فيما بينهم، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم... ويزيل الوهم والتهمة التي تقول: "وراء كلِّ فتنة وعنف في العالم تقف الديانة سببا"، بل يُظهر أنَّ الدين بريء من هذا، وإنما المصالح السياسية، والحسابات الضيقة، والفهم الخاطيء، هو السبب والدافع والباعث لكلِّ عنف وشدة.

- منتدى المرأة (Women's platform): للحوار بين النساء، من مختلف المشارب والمضارب، حول اهتماماتهنَّ، بعيدا عن الادعاءات، والحسابات الضيقة، وبذلك يمنعن توظيف المرأة كشعارات ذات حساسية مرهفة وبالغة، من قبل المغرضين والفتانين...

- منتدى البحث العلمي (Research platform): وهو منتدى للبحث العلمي، والطروحات النظرية والفكرية والعلمية العميقة، وهنا تتمُّ مناقشتها بدون خلفيات إيديولوجية أو حسابات لا أخلاقية.

- منتدى أوراسيا (platform Eurasia): وهو منتدى يدور حول قضايا أوراسيا (روسيا، وبيلوروسيا، وكازاخستان، وقرغيزيا، وطاجيكستان، وأوزبكستان)، ويشارك فيه أبناء هذه البلاد؛ يُسهمون في نزع فتيل الخلاف

بين أبناء الأرض الواحدة، والتاريخ الواحد، والحضارة الواحدة؛ لصالح نموهم ورقيتهم، ولأجل وضع أكثر سلاماً وأمناً وتقبلاً للآخر.

ولقد أصدر "وقف الصحفيين والكتاب" العشرات من الكتب والمؤلفات، بمختلف اللغات، كما أنه يُصدر مجلات دورية وشهرية، حول قضايا الحوار، بالتركية والانجليزية، راقية الإعداد والطبع، وواسعة النشر والتوزيع.

وقد أنشئ حديثاً "مركز بحوث فتح الله كولن"، ضمن الوقف، وهو المسؤول عن البحث، وعن تنظيم مؤتمرات عالمية، لمناقشة فكر الأستاذ كولن، فقد نظّم ملتقيات في أرقى الجامعات العالمية: في أمريكا، وروسيا، والسويد، وألمانيا... وغيرها. أمّا عن الملتقيات المنظمة في العالم العربي -مصر، اليمن، الأردن...- فهي بإشراف مجلة "حراء" الغراء.

ولقد كان سؤالي لمدير المركز الدكتور فاروق عن مدى الاستفادة من هذه الروح أولاً، ومن الفكرة ثانياً، ومن المؤسسة ثالثاً، ومن الخبرة رابعاً... وخامساً، وسادساً... فكان الجواب أن "قلوبنا وعقولنا مفتوحة لاحتضان أيّ تعاون في هذا الشأن، من مثل استقبال أساتذة من العالم العربي، أو عقد منتديات حوار على هذا الأساس في أيّ بلد عربي...". لكن ثمة حساسية وصعوبة، لم يُخفها المسؤول عن المركز في شأن البلاد العربية.

* * *

هكذا، يكون الإسلام: مبادئ كبرى، تجد أفعالاً كبرى، من رجال كبار، وبالتالي تحقّق إنجازات لا حدّ لها، وتنتشر خيراً عميماً لا مثيل له، فيصير المسلم في عالم اليوم هو مَنْ يقود قاطرة الحضارات، ولا يبقى في

ذيل الأمم والمدنيات، يلهث وراء السراب، يلحق دماءه وجراحاته، ويشير الشفقة عند القريب، ويستوفز الشماتة عند البعيد...

الإسلام حضارة، والإسلام عمارة، والإسلام حركية وفكر، وعلم وعمل، وتخطيط وتنفيذ، وإبداع وريادة... هكذا لنكن، أو لا نكون... أمّا ديننا فهو أعظم، وأرحب، وأوسع... وصدق الله العظيم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

مقالات فاتح القسطنطينية / ٥



"زمان" و"جيهان" حين يصير الإعلام نظيفا...

ارتبط اسم الإعلام عبر العالَم، مشرقا ومغربا، بالقذارة، والفساد، والعداء للقيم، ونشر الرذائل، والاستثمار في الفضائح والأعراض، والحجري وراء السبق الصحفي المريح، حتى ولو كان كاذبا؛ وقلما تتم مراقبة ما يأتي في الإعلام من معلومات وأحكام، فهي مثل نهر جارف، يهلك الحرث والنسل، ولا يحاسبه أحد...

من أجل ذلك تتخذ الجهات النافذة، والأطراف المتحكّمة، والأنامل المحركة "لماريونات الشعوب"... تتخذ وسيلة لتحقيق مآربها، مستثمرة بذلك في سفاهة الناس، على شاكلة فرعون الذي ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ﴾ (الزخرف: ٥٤)، غافلين -حتى وإن كانوا من المسلمين أحيانا- عن تحذيره تعالى من الشياطين وغواياتهم، بقوله سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ

اللَّهُ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿الرُّوم: ٦٠﴾، والاستخفاف كما في أدبيات التفسير وأصول اللغة العربية هو: "الاستفزاز، وحمل العقول على الخفة"، لكن لا يكون الاستخاف إلا إذا كانت لدى المستخف بهم "قابلية للاستخفاف..."

"زمان" و"جيهان"، مؤسستان إعلاميتان خارج المؤلف، ذلك أنهما تضربان بجذورهما في أرض القيم والأخلاق والمسؤولية الشرعية، قبل المسؤولية القانونية، والذي كان له الفضل في التأسيس هو المفكر الكبير، صاحب المشروع الحضاري المتميز "الأستاذ محمد فتح الله كولن".

ما إن سألنا مدير الوكالة عن الفرق بين هذه وغيرها من مؤسسات الإعلامية العالمية، حتى أجاب، وبوضوح: "عادة ما لا تجتمع القيم مع الاحترافية، فإذا ما كانت المؤسسة محترفة جداً فقدت القيم، وإذا ما كانت ذات بعد قيمي، كانت ضعيفة وهزيلة في مستواها الاحترافي، أما ما نحن عليه فهو الجمع بين الاثنين، والإسلام أساساً جاء ليحقق الجمع بينهما".

جريدة "زمان"، جريدة يومية، تصدر بدايةً باللغة التركية، وهي الآن تصدر ورقياً بالانجليزية، ورقمياً بالعديد من اللغات، منها الألمانية والفرنسية...؛ هي الأولى في تركيا، وتطبع يومياً حوالي مليون نسخة، تباع في العديد من النقاط عبر العالم، ولقد شاركت في مسابقات عالمية للتصميم والعمل الصحفي وفازت بأعلى الجوائز... لها مطابعها الخاصة بها، وتُصدر مجلة أسبوعية تابعة، هي مجلة "أكسيون"...

البنية غاية في الإبداع والجمالية، زُجاجية مفتوحة، ذات سبعة طوابق، لها بهو كبير، يشرف على كل الطوابق، وكل شيء يسير باللمسات الإلكترونية، ويعمل فيها المئات من الموظفين، من الجنسين، من مختلف

بلاد العالم، وبمختلف اللغات، والتخصّصات، والاهتمامات...

وفي سؤال: "ما هو حضور الأستاذ كولن في المشروع؟"

قال مدير الوكالة: "هو الأب المؤسّس، وهو صاحب الفضل، وليس للجريدة عليه فضل، فثقة الناس فيه، وتوجيهاته الحكيمة، هما سبب النجاح والتميّز، وفي كلّ يوم جُمعة تصدر صفحة خاصة بالأستاذ، تنشر فيها أفكاره وتوجيهاته، والأجوبة على الأسئلة التي تُطرح عليه، ونظراته في مختلف القضايا..."

ولقد علمنا من بعض المقرّبين، أنّ الأستاذ يطالع كلّ الأعداد، بعناية فائقة، ويوجّه، ويصوّب، وينصح... بلا ملل ولا كلل، فهو بمثابة الميزان القسط، والمرشد العدل... الذي يتخذ من الآية القرآنية، ومن سيرة المصطفى، ومن القيم السامية، مرجعا، وموثلا، وحكما...

علماً أنّ الجريدة بدأت صغيرة بعشرة آلاف نسخة، ونمت طبيعياً، لكن بفضل الإيمان والصدق والتفاني، وبفضل الرؤية الواضحة للأستاذ، والخطّ المتسامح والمتفائل الذي دعا إليه "البراديم كولن" تجد أنّ القراء ليسوا جميعاً من توجّه واحد، بل كل الأطياف في تركيا تتخذ الجريدة مصدرها الموثوق، بل والكثير من الجهات الرسمية تعتمد عليها، وتستند إليها، واثقة من صدقها.

والجريدة تنأى عن كلّ ظنّة في أحد، أو خدش للعرض، أو حتى قبول أو رفض بناءً على الانتماء... فإن أصابت جهة ما، مهما كانت، ساندت الجريدة هذا الصواب، ودافعت عنه، وباركته؛ وإن أخطأت جهة ما، مهما كان مصدرها، نقدت الجريدة هذا الخطأ، ولا تبالي... فليس للجريدة مصلحة، إلّا مصلحة القيم والصدق والسلم، بل وروح الإسلام.

قد يبدو فيما أقوله -لدى البعض- نوعٌ من المبالغة، لكن ليس ما ذكرته رأيي أنا لوحدي، وإنما هو رأي الآلاف من الزوار للجريدة، ومن القراء، بل إنَّ النصوص متوفرة في "النت"،^(١) والجريدة تطبع يوميا، ولمن أراد أن يستقل برأيه وحكمه فليفعل ذلك دون حائل؛ إذ ليس الإعلام ممَّا يخفى على أحد...

أمَّا وكالة "جيهان"، فهي وكالة أنباء، ذات سيط عالمي، تزود "زمان" وغيرها بالجديد، وتصنع الأخبار بما تملك من قدرات فائقة في كامل أرجاء تركيا، وفي الكثير من النقاط عبر العالم؛ والجميل فيها أنَّ فيها قسما عربيا، ولها اهتمام بقضايا المسلمين، وبخاصة فلسطين وغزة، فكلُّ مظلمة يتعرض لها إنسان تدفع الوكالة للوقوف بجوار المظلوم... ولقد قادت المؤسستان حملة إغاثة لغزة، أوَّان حصارها، وساهمتا في جمع إعانات، وفي تنوير الرأي العام؛ حتى لا يضلُّ، ولا يستخفَّ... فنجحتا في ذلك أيما نجاح.

كلُّ القنوات، والجرائد، والإذاعات، والجهات الرسمية، تستقي معلوماتها من "جيهان"، ولذا يزداد عليها الثقل، ويلزمها بالاحترافية، والصرامة، والوضوح... وهو ما هي عليه الآن، بحمد الله تعالى...

ويزور المؤسستين شهريا ما يزيد على أربعة آلاف زائر، من كلِّ بلاد العالم، فيبدون إعجابهم بهذا الخير العميم، الذي هو أثر للفكر الإسلاميِّ الصحيح، بل ويعجبون من ذلك؛ لأنَّ الإسلام -للأسف- صار عندهم

١ الروابط: وكالة جيهان: <http://www.cihanmedia.com>

جريدة زمان: <http://www.zaman.com.tr>

زمان اليوم، بالإنجليزية: <http://www.todayszaman.com/tz-web>

زمان باللغة الفرنسية: <http://www.zamanfrance.fr>

مقرونا بالإرهاب، والهمجية... وما ذلك إلا من زور الإعلام الظالم عبر العالمين الغربي والشرقي على السواء...

هكذا نجحت "زمان" و"جيهان" في صنع إعلام نظيف... أساسه قيم الإسلام، وشكله روح العصر، وهما بحق مفخرة للعالم كله، وللإسلام والمسلمين بالخصوص... والفرق شاسع بين من ينظر للإعلام الإسلامي، بلا دليل ولا ثمرة ولا نموذج، ومن انطلق من الأسس، وصنع المعجزات، بعيدا عن كثرة التنظير، والتعقيد، والتعليق...

مقالات فاتح القسطنطينية / ٦



"فَم" لصناعة الإنسان

ليس من عادتي أن أخطب في مقالاتي فئة معينة، أو جهة بعينها، غير أنني هذه المرة أتوجه بالخطاب إلى مَنْ آمَن -ابتداءً- بالتعليم بديلا عن الشعارات، وبالتربية أساسا لكل الانتصارات؛ ليس فقط، لكنه ما إن مرّت عليه لحظات من التعب والرهق، وذاق الكثير من المعوقات والمعوقات، حتى اهتزّ إيمانه، وضعف جانبُه، فكثُر شائوؤه؛ وراح يفكر ويقدّر، ويسأل ويعيد، ويترجّنا لعلنا نغيّر الطريق من جديد، فتوجّه وجهة البرلمان، ونَتَّخِذْ لنا -كما للناس جميعا- مرشّحين ومنتخبين، بُغية امتلاك قسط من السلطة، والحصول على حظنا من الجينة!

فلأُسَمِّ هذا الشخص الافتراضي -غير الحقيقي- "المستعجل"...

ولأبدأ أولاً بشكره، وبالتنويه بقدره؛ فهو صادق النية، صافي الطوية، يحبُّ الخير، ويعمل لنشر البرِّ، لا يبطن شرًّا، ولا يخفي ضرًّا... فمعدنه طيب، ومحطته طاهر... بورك له، وبورك فيه...

غير أنَّ صديقنا "المستعجل" من جهة أخرى، يفتقد الفهم الشموليِّ العميق، والرؤية التحليلية النافذة، والمخطَّط الاستراتيجيِّ البعيد؛ ورؤيته للمستقبل قصيرة ضيّقة، لعلّه -لسبب أو لآخر- أصيب بعاهة أو آفة، أو لعلَّ عينيه لم تألفا الجهد والاجتهاد منذ الصغر، أو لعلَّ الضباب تكثَّف من حوله، والمعمَّيات تناثرت بين حاجبيه... لكنه، مع ذلك يبقى بريئا، لا له ولا عليه...

لمثل هذا "المستعجل"، أو لمثل هؤلاء "المستعجلين"، وقد أكون أنا واحدا منهم، أقول:

نعم، كان مشوار التربية والتعليم خيارا شاقًّا، لكنّه لم يكن بإرادتنا، ذلك أنّه يصدق فينا قول الجليل: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال: ٧)؛ فوالله ما أريح الادعاء المنمَّق، والكلام المزوَّق، والحملات الظرفية، والتكتيكات الحرفية... وما أيسر أن نملاً الدنيا "صراخا" ونعمر الكون "مواء" -حتى لا أقول نباحا-، ذلك أن "سوق الكلام" رائج في عصرنا، و"كلام السوق" ثمين في مصرنا...

لكنّنا، وهنا أخصُّ كلَّ مدير، ومعلِّم، وولي، وتلميذ... ممن كان معنا -أو كنّا معه- في البداية، فربطنا العقود، وأوثقنا العهود، وكُنّا -وكنتم جميعا- يومها، واثقين من صعوبة المسلك، ووعورة الممرِّ... ولا يزال الكثيرُ منكم مرابطا، رغم كلِّ الظروف؛ والبعض الآخر أفضل حالا، يصنع

بكلتا يديه مناسباتٍ للانتصار؛ وقسمُ ثالث آمن وصدق، فهو مجاهد بكلِّ المعايير، مرابط بجميع المقاييس... لكن مع ذلك، دونَ هؤلاء وأولئك مَنْ شك -أو يشك- كلِّما لقينا من أمرنا نصبا وعتنا... وكأنَّه كان ينتظر من الطريق أن تُفرش حبرا، ومن السماء أن تمطر إبريزا، ومن القدر أن لا يتليهم ولا يبتلينا ولو مرة...

لكننا... والخطاب لجميع هؤلاء وأولئك، بعد سنين، اكتشفنا مَنْ نحن، وإلى أين نحن سائرون، ولماذا اخترنا الدرس عوضا عن الكلام، والمدرسة بديلا عن المهرجان... نحن، اكتشفنا ذاتنا من خلال مشاريع "كولن التربوية"، ومن بينها، وهو موضوع هذا المقال: مدارس "فم" لصناعة الإنسان.

إنها مدارس تدعِمية للطلبة الذين هم على باب الجامعة، شرع فيها منذ سنوات، وهي اليوم أفضل مأوى للطلبة الأتراك من كلِّ الفئات والجهات؛ وقد بلغ عددها في استانبول وحدها -حسب تصريح مديرها- تسعون مدرسة، كلُّ مدرسة -وقد شاهدنا بعضا منها- بمثابة جامعة صغيرة، بعضها يأوي الآلاف من الطلبة، يحضنهم، ويربيهم، ويعلمهم كيف يتعلمون، وكيف ينبغي أن يتعلموا، ولماذا يتعلمون، وممن يتعلمون، ومتى يتعلمون، وإلى متى يتعلمون...

إنَّ مدارس "فام" تبدأ بما ينبغي أن يُبدأ به، يبدأون بـ "اقرأ باسم ربك..."؛ لكن، ليس بأسلوب الجدل العقيم والادعاء المُنيم، وإنما بمنهج "وليتلطّف"، وبقاعدة "بالحكمة والموعظة الحسنة"؛ ولذا قد تجد في المدرسة الكثير ممن لا يستسيغ الذوق سيرتهم، ولا يقبل الدين هيئتهم، ثم لا يلبثون بعد أمد، وقد تلقوا العلم والخلق والأسوة الحسنة،

أن يتحوّلوا إلى حواريين عالمين عاملين، وإلى قيادات كونية صافية طاهرة نقية... يدعون بلسان حالهم، معرضين عن الدعوة -في هذه المرحلة- بلسان مقالهم!

والملفت للانتباه هو تلكم العلاقة الحميمة بين الأستاذ في "فام" وبين الطالب وأسرته، وللإخوة في هذا الفنّ إبداعات، وهل الطالب سوى شجرة نبتت في أرض العائلة، بذرت ببذرها، وسُقيت بمائها... فاليبيت -كما يقول الأستاذ فتح الله- هو المحضن الذي تصنع فيه منطلقات الحضارة، ذلك أنّ "اليبيت أمّة صغيرة، والأمة بيت كبير. والشخص الذي ينجح في إدارة بيت -كبيراً كان أم صغيراً- إدارةً صحيحة، ويرتفع بأفراد ذلك البيت إلى المستوى الإنساني اللائق، يستطيع ببذل جهد صغير، القيام بإدارة مؤسسات أكبر إدارة ناجحة" (الموازن، ص ١٤٧).

وأوّل ما يكسب الأستاذ من الطالب قلبه لا عقله، عاطفته لا منطقته، ولذا تراه يحبّ إليه الخير، ويعلمه أبسط أسرار الحياة، ويرفع من شأنه، ويكرم محيّه... ذلك أنّ من اختار إهانة الطالب ليدفعه إلى العلم، ومن آثر الخشونة في جنب التلميذ، كيما يكسبه المعارف، مخطئ، مُسرف، ظالم، جاهل، بل ومبذّر أحياناً... ولقد سئل العلم يوماً: "من هو قرينك؟"، فأجاب بلا تردّد: "الحبّ والعشق"... فمن أحبّ تعلّم وعلم، ومن كره جهل وحمل الناس على الجهل... وهكذا القاعدة الصادقة المطلقة، التي لا تختلف أبداً!

* * *

أعود إلى ذاتنا، وأقول:

إنّ طريق الحضارة الوحيد، هو طريق الرسل أجمعين، وطريق الأقطاب

الربانيين من بعدهم، إنه طريق التربية والتعليم، فإن نحن صبرنا - لا صبر موسى مع الخضر، بل صبر الخضر لموسى، عليهما السلام - كانت الثمرة فجرا مشرقا نيرا مباركا، وإن نحن اتبعنا سبيل "المستعجل" أو كنا نحن "المستعجلين"، فإن السنين ستأكل السنين، والزمان سيلتهم الزمان، ثم لا نسمع جعجعة ولا نرى طحينا، أو لعلنا أحيانا نسمع ولا نرى؛ وأمّا الطحين فسيكون بيد غيرنا، من صنع عدونا، وبطعم شائتينا، يطبخونه كيفما يريدون لأجيالنا، ويقدمونه في الصورة التي يودّون... ثم يفعلون فينا، وفي أبنائنا، وفي أوطاننا... الأفاعيل، ولا نملك حينها طاقة، ولا إرادة، ولا حتى فكرة، لكيفية الخروج من المأزق، فنعيش طول العمر داخله، لا ككهف الفتية الذي نُشر رحمةً ومرفقاً، لكن ككهف "يكون" الذي أوى الأوهام والمغالطات والخرافات... مما سمي أوهام المسرح، وأوهام القبيلة، وأوهام الكهف، وأوهام السوق...

ولكل وهم من تلکم الأوهام -اليوم في واقعنا- أمثلة ونماذج، ليس المقام مقام بسطها، ولكن يكفي أن نجب أمّتنا ويلائها، وتبعاتها، وشروها... بالاعتناء بالتربية والتعليم، والصبر فيها، والمصابرة عليها... وبالمناسبة أحيي كلّ مخلص غيور، وكلّ عامل صبور، وكلّ شهيد جسور... وأدعو الله أن يرزقه يوم لقائه جوار المصطفى ﷺ، وسكني الحور... وأكبر من ذلك كله وأعلى: "ورضوان من الله أكبر"... وذلك هو الفوز المبين.

مقالات فاتح القسطنطينية / ٧



"جوشكن": مدارس من العالم الملائكي!

منذ سنوات وأنا أسافر بين البلاد مثل هائم سائح يبحث عن "ليلاه"، فمن ماليزيا إلى إيران، ومن مصر إلى السودان، ومن سورية إلى لبنان، ومن كندا إلى عمان... وما بين رحلة ورحلة كانت تركيا العثمانية تلوح إليّ بوجه فاتر، وعينين مغرورتين، كأنها تقول: "لا يغرّنك الحسنُ إذا لم يكن أصيلاً، ولا يفتنّك المظهر ما لم تختبر خبايا القلوب وكوامن النفوس، ولا يسيّئك الوجه حتى وإن خلّته أسيلاً...!"

كان أغلب من يسافر إلى تركيا يكتفي بالاستمتاع بالمعالم التراثية، ويحبس خطواته ما بين "أياصوفيا" و"السلطان أحمد"، وبين "البوسفور" و"مارمارا"، ثم يشدّ اهتمامه إلى بعض المنشآت الحضارية المعاصرة، ويعود إلى بلاده معجباً، متوجّساً، حائراً... وقد تجمّعت عنده المتناقضات جميعها...

كنتُ كذلك، وبقيت إلى أمدٍ على تلك الحال، إلى أن شاء الله تعالى أن أكتشف، رفقة الإخوة الكرام في "معهد المناهج"، مصدراً جديداً، ونبعاً صافياً، من خلال الإخوة الذين فتحوا أمامنا آفاقاً واسعة رحبة لفهم تركيا على حقيقتها، ولإدراك الأمور بأصولها...

فعلّمنا حينها أنّ تركيا هي مستقبلُ الإسلام، وهي وعد الله في أرض الله ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الرَّحِيمِ) (الروم: ٤-٥)، ولا يشكُّ مؤمن أنَّ سبيل الله تعالى لا يخلو من زعماء وقادة، وجنودا وجيوشاً... سيتحقق النصر على يدهم؛ وأنَّ أيَّ اشتغال بالتَّرهات، وأيَّ انشغال بالسخافات، هو تضييع لهذه الفرصة، ولا تنفع يومها الاعتبارات الانتمائية الضيقة الخانقة، وإنما هو الإسلام "رحمة للعالمين"، والدين الذي أنزل "للناس كافة"... فمن وسَّع فكره يسَّر الله له سبل التمكين، ومن ضيَّق أفقه أبعد الله عن أسباب النصر...

ولقد زُرنا العديد من الإنجازات الحضارية لتركيا الحديثة المباركة، بقيادة إمامها الحكيم "محمد فتح الله كولن"، الذي نوَّر الله بصيرته، وبعثه مجدداً لأمر الأُمَّة والدين، ولقد أجمع على ذلك القاضي والداني، من المسلمين ومن غير المسلمين، ولا يضرُّه -كما لا يضرُّ- "الخدمة" جهل بعض قصار النظر، بسيطي الفكر، ممن تبدأ الدنيا في ذواتهم المنغلقة، وتنتهي عند أطراف أنوفهم المجذوعة...

وهذه المرَّة شاء الله تعالى أن تحملنا الأقدار إلى مدارس "جوشكن" الراقية، رفقة إخوة لنا من شباب "الخدمة" الأطهار، ورفقة باحثين من المغرب الأقصى، فقد كان لنا موعد مسبق، مع المدير العام للمدارس... فكنّا على الموعد بحمد الله وتوفيقه...

في مدارس "جوشكن"، الحلم الذي حلمنا به منذ عقود:

- بنايةٌ أشبه ما تكون ببنك دوليٍّ، أو وزارة للطاقة في أغنى الدول...
- طاقم استقبال ينقضُّ على قلبك فيكبسه، قبل أن تلتقط آذانك بعض كلماته التي قد لا تفهم منها الكثير...
- نظافة، ونظام، وإبداع، وجمال، وأصالة... ثم فعالية، وحركة، ونشاط، وجدُّ، ومثابرة...

قد تنتهي كلمات القاموس ولا تستوعب جميع ما تشاهده العين من إيجابيات، وقد يخرس اللسان بعد دقائق، ذلك أنَّ العين تُسكته، وتحمله على التواضع، وتريه مقامه الحقيقي... وقد يعجز البنان، وينكسر اليراع، وهما يحاولان لملمة الألفاظ، وبناء فقرة أو نصٍّ يوصل للقارئ حقيقة ما شاهد...

جلسنا في قاعة الاستقبال، دخل السيد المدير، وجلس في موقعه، ثم سلم لنا المضيفون الشاي وما يحوم حوله، وبدأ العرض على الشاشة بـ"البوربانت"، بصورة سريعة واضحة دقيقة... وأول ما بهرنا دلالة "رمز المدرسة"، فهو وكأنه أربعة أرباع من زهرة، كلُّ ربع بلون، قال السيد المدير: "أمَّا الأرباع الثلاثة الأولى، فهي التحضيريات والابتدائيات والكوليجات (متوسطة وثانوية بنظامنا)؛ وأمَّا الرابع فهو مخطط الجامعة، لمَّا نجزه بعد، وهو بإذن الله في برنامجنا!".

ولمجموعة "جوشكن" أربع ابتدائيات، وثانوية للإناث وأخرى للذكور، ومجموع التلاميذ هو ٣٦٠٠ طالب، يؤطِّرهم ٣٧٠ مدرِّسًا، أي ما نسبته مدرِّس لعشرة تلاميذ؛ أمَّا عدد العمَّال الكلي فهو ٧٥٠ عاملاً، من الإدارة إلى الحراسة... وما بين ذلك.

أمَّا المطبخ، والمقصف المدرسي، وأعمال النظافة... فكلُّها بيد شركات خاصَّة، متخصصَّة في هذه الأعمال، تعاقدت المدرسة معها، وهي تتَّهم مهمتها باحترافية لا نظير لها... وكذا، النقل، وما يترتب عنه. "كلُّ ذلك يمكننا -يقول السيد المدير- من التفرُّغ للعملية التربوية، خالصةً دون هموم أخرى هامشية!".

وهدفُ المدرسة هو: "سعادة الزبون، لا رضاه فقط"؛ وفي هذا الهدف

تظهر سمة الإخلاص لله تعالى،^(١) ذلك أنَّ الزبون قد يَرْضَى، ولكنه لا يعرف "مصلحته" أو "ما يصلح به"؛ فهذا ليس هو الهدف؛ وإنما الهدف أن يكون "سعيداً هو وكلُّ العائلة"، بكلِّ مقاييس السعادة الكمية والكيفية... ويراهن فريق "جوشكن" على معايير انتقاء الإدارة والمدرّسين، فهي:

- معايير أكاديمية وعلمية أولاً،

- ومعايير خلقية وسلوكية ثانياً؛

ولا يُستغنى عن معيارٍ لحسابٍ آخر، بل كلُّ معيار هو الأهمُّ وهو أساس نجاح المشروع؛ فجدلية الكيف والكمّ، والمادة والروح، والدنيا والآخرة... هنا، في تركيا الحضارة، وفي "البراديم كولن" بالخصوص، ليست ثنائية إقصائية جدلية - كما في الكثير من البلاد الأخرى -... إذ المطلوب هو: الكفاءة والفعالية، معاً، بكلِّ المقاييس.

"وليس لدى الطاقم التربوي عندنا - يقول الأستاذ المدير - مدلول الدوام الكامل، أو العدد الساعي مقابل الأجرة... ذلك أنَّ كلَّ واحد مطالب بتقديم أضعاف ما يقدّمه قرينه في أيّ مدرسة أخرى، من الصبر، والوقت، والحرص... وأغلبهم يعمل بحرّ اليوم، حتى الليل، ويعمل خلال العطلة... لا يحاسب، ولا يطالب، بل هو مسرور سعيد؛ لأنه - باختصار - في "الخدمة"، يؤدّي ما أمره الله تعالى به، وما هو نافع للأمة والوطن والإنسانية...".

ولتكوين الإطار في "جوشكن" - وفي غيرها من مدارس الخدمة، مثل "فاتح"، و"برج"، و"فام"، "أنافن"... - قصّة أخرى، ومكانة لا تقاوم... فهو

١ قارن مع مبحث "الإخلاص"، ضمن باب "أسباب الرشد وموانعه"، الفصل الخامس من هذا الكتاب.

تكوين صارم، متواصل، جاد... مؤسس على فكرة "الزمر"، فكل تخصص له زمرة: زمرة اللغة، وزمرة الرياضيات، وزمرة الأخلاق، وزمرة الفن... الخ؛ ولكل زمرة -خارج الدوام- لقاءات تكوين أسبوعية، وبينهم وبين زمر أخرى لقاءات تكوين شهرية، وبين زمر المقاطعة أيام عمل مغلقة مرة كل سنة...

يقول السيد المدير: "نحن لا نخاف لجان التفتيش، والمراقبة من قبل الدولة، بل بالعكس، نرحب بها، وهي جزء من عملية تطوير المنظومة العلمية للمؤسسة وللوطن؛ وقد استعار مثالا جيدا من التراث التركي للتعبير عن هذا -مع فارق- وهو قولهم: "وجود الصقر، ينمي مهارات العصفور!".

قلت في نفسي: "لكن بعض الصقور، في أماكن أخرى، ليس لديها معيار أخلاقي، وهي ظالمة، جائرة... أمّا هنا، فالصقور تخضع لقانون واضح... والحق، أننا نحن -كذلك- في الجزائر، وجدنا لجان التفتيش في وزارة التربية، متفهمة، واضحة... في أغلب الأحيان... والله الحمد والمنة!".

أمّا عن المقررات والمناهج، فهي من تخصص مركز محترف، تابع لمجموع مدارس "الخدمة"، ينتج أجود الكتب، وأفضل البرامج، وهي توزع حتى على مدارس الدولة، وعلى مدارس أخرى في الوطن... فالتخصص، والتفرغ، والعمل الجماعي، والاحترافية... كلُّها معايير كنا -ولا نزال ندافع عنها- هي هنا قد تحققت على أرض الواقع، وكأنا في عالم ملائكي من نوع جديد!

وعن سؤال حول الهدف من التلميذ، أو: "كيف ترونه مستقبلا، وقد تخرج في مدارسكم؟"

أجاب السيد المدير: تلميذ "جوشكن" ينتظر منه أن يكون في المستقبل إن شاء الله:

- واثقا من نفسه.
- منسجما مع بيئته.
- متبنٍّ للقيم الإيجابية.
- مؤمنا بالقيم الإنسانية العامة.
- له رؤية شمولية.
- متقنا للغته الأم، وله لغة أجنبية قد تمكن فيها.
- يكسب معرفة تكنولوجية عالية.
- بارزا في رياضة واحدة على الأقل.
- له قدرة فنية ومهارة وموهبة في إحدى الفنون (للمدرسة خمس وثلاثون نوعا من النوادي الفنية والرياضية، فيها تنمى مهارات التلاميذ).
- متفوقا في التخصص الذي يختاره هو.
- وأولى من كل ذلك: صاحب أخلاقية سامية (إيمانية، ربانية، وطنية، مدنية...)
- كما أن في كل فصل من فصول السنة هدف عام لجميع المدرسة، وهدف خاص لكل تلميذ، يجب أن يتم تحقيقه؛ ونتحاسب على أساسه... ونحن نعمل بمنهج "الذكاءات المتعددة" في مسارنا العام.
- وعن سؤال حول التمويل، أجاب السيد: "الحمد لله، فرجال الأعمال، والمنفقون، ذوو سخاء منقطع، وحرص على المشروع، قد يفوق حرص الطاقم التربوي، ولذا فهم سرُّ من أسرار نجاحنا"
- والدليل واضح، وهو "المجسم" الذي وُضع في المدخل، لمدرسة تحت الإنجاز، بعشرات الهكتارات، وما يبنى منها هو خمس وثلاثون

ألف متر مربع... وهي أشبه بجامعة من جامعات أكبر الدول العالمية، "هذه سنشرع فيها السنة المقبلة، ونبدأ في بناء مدرسة أخرى أكبر منها، مباشرة بعد إتمام هذه..."

* * *

هنا، أتوقف عن الكتابة، وهنا أعلن أن فرائصي ترتعد، وأن أنا ملي لا تطاوعني، وأن القلب ليتفطر، وأن العين لتدمع... وأنا أدعو الله بدعاء، أسميه هذه المرة، دعاء "جوشكن" على شاكلة دعاء "الجوشن"، أقول فيه:

"اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن... أسألك بكل نسمة، وكل ذرة، وكل قطرة، وكل غائبة في السماوات أو في الأرض، وبكل ما نعلم وما لا نعلم... أن تيسر لنا أسباب التمكين، وتوفقنا لتربية الجيل على الدين المبين، وعلى الخلق المكين، وعلى القوة والنصرة والعزة، وكل ما يرضيك، يا مُعين..."

اللهم إننا نسألك في وطننا، وفي سائر بلاد المسلمين، مدارس ربانية، قرآنية، محمّدية، كونية، حضارية، تُعيد للأمة مهابتها، وللدّين مكانته، وتكون سببا لظهورنا على الكفار والمشركين، وعلى المنافقين والمتخاذلين... آمين.

اللهم وفّقنا، ووفّق مدارسنا، ومدّرّسينا، وعلمائنا، ومُحسنينا، وتجارنا، وطلبتنا، وولاة أمورنا... وكلّ من يغار على دينك، ويرجو رضوانك... اللهم وفّق الجميع إلى إنشاء مدارس على شاكلة "جوشكن" و"فاتح" و"برج"...؛ وابعث من مدارسنا العلميّة -ومن غيرها- ما تقرّ به أعيننا، ووفّق القائمين عليها، والمجاهدين في سبيلها، والمرابطين في ثغورها،

إلى العلوِّ بها مقامات عليّة، وعوالم ملائكيّة...

اللّهُمَّ أزلِ الشّحناء من قلوبنا، والأناية من أفئدتنا، والاستعجال من عقولنا... يا أرحم الراحمين...اللّهُمَّ إنك تعلم ولا نعلم، رضينا ربّنا بما قضيت لنا، إنك علّام الغيوب... والحمد لله ربّ العالمين".

مقالات فاتح القسطنطينية / ٨



طبّاخة العجين، وطبّاخ البنين!

بين يدي هذا المقال مسلّمت، أتوسّل إلى قارئ الطيب أن يضعها نصب عينيه، حتى لا يحمّلني ما لا أحتمل، ولا يحمّل مقالتي غير محلّها! أولاً: كلّ ما أكتبه، في هذا المقال، وفي غيره، دافعه الحرقة واللهمّ الذي يمزّق أحشائي، ويذيني كمدا وأسفا، فليس في قلبي -بإذن الله- شرو نقيّر من التحقير، أو التعبير... والله على ما أقول شهيد.

ثانياً: أنني، غالباً، في مذكراتي حول العالم، أتتبع النقاط الإيجابية في البلد الذي أزوره، وأجتهد في تصيّد الإضاءات النيرة لأهل تلك البلاد؛ وهذا -طبعاً- لا ينفي وجود ما يَشين، كما لا يبرّر تتبع السقطات والندبات، ولا يسوّغ العيش في مواطن المزايل، ومعادن الإبل... وأرى أنّ ذكر الشرّ والتشهير به كثيراً ما يكون مدعاة للدعوة إليه، والاحتفاء به...

ثالثاً: ما أورده من نقائص عن بلدي، وعن وطني، وعن مصري، وعن أهلي، وعن نفسي... هو من قبيل ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤)...

مبعثه الحب، والشفقة، والحرص على أن يبلغوا أعلى المراتب، ويوزوا أعتى المواكب.

رابعا: إنَّ الهدف من كلِّ سفر من أسفاري هو نصرة الخير والانتصار له، ومحاربة الشرِّ ونصب الحواجز في طريقه... ولذا أجدني أحمل عقلي معي، لا أزمه في حقيتي، ولا أحطه بين الأسواق الشهيرة، ولا بين مرايا الحوانيت الكبيرة، فقد تحرّكني أدنى عبارة، وقد تهزّني أصغر إشارة، فأنتلق منها للتعبير عن أوسع المعاني وأجمل المباني، الفنية والعلمية والتاريخية والحضارية... الخ. فإن وفّقت في ذلك فمن الله، وإن أخفقت فهذا ضعفي، أستغفر الله منه.

خامسا: إضافة إلى جميع تلك النقاط، فإنني هذه المرّة حملت معي "المنظومة المعرفية الرشيدة" أحفر فيها، وأبحث لها عن تمثّلات في الواقع، وأصوغ أسسها وأعيد، وفق "نموذج الرشد"، والذي أعرفه بأنه: "ذاتية اتباع الأسباب"؛ فأنا إذن أحاول أن لا أنظر في السطوح والسفوح، بل أغوص في الأعماق وأبتلي الأذواق؛ إنني باختصار، في رحلة تتبع الأسباب، مسترشدا بفعل ذي القرنين الذي آتاه الله من كلِّ شيء سببا "فاتّبع -أو فاتّبع- سببا"

سادسا: وأخيرا، إنني أعتبر كلَّ حرف كتبتّه ونشرته، ثم قرأه قارئ، من أقصى العالم أو أدناه، صدقةٌ أرجو ذخرها وبرّها عند الله تعالى، ولذا أجد السعادة كلّها كلّما علمتُ أنّ أحدا من الناس استفاد مما كتبتُ، وازداد علما وعملا، وبهذا أفهم قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ (سبا: ٣٩)؛ ف"الشيء" في هذه الآية واسع الدلالة، منه إن شاء الله ما أكتبه، وكذا "فهو"، عوض "فالله"، لقرب الأجر والعطاء الإلهي من كلِّ

واحد منا... فاللهم لا تحرمنا أجرک، وأخلفنا خلفه طيبة حسنة، آمین... آمین.

إذا توضّحت هذه المقدمات، ولجّت بحياء في مقالتي هذا، وهو مختلف نوعاً ما عما سبقه، وعماً سيلحقه.

* * *

طبّاخة العجين

هي امرأة تركية، ذات مسحة من الوقار الممزوج بالرهبة، جمالها جمال العفة والحجاب والحياء، قامتُها مربعة غائرة في لحافها، ووجهها مدوّر غارق في براءته، كلُّ لحظٍ من لحاظها الأسر يحكي أسطورة من أساطير هذا البلد العريق... يهواها القلب، لا هوى الغانيات الفاتنات، لكن هوى الطاهرات العفيفات... كأنها خلقت من طينة "الفردوس"، وعاشت في عالم المثل سنوات!

عمّالة، منظمّة، منضبطة، فنّانة، واضحة، دقيقة، سريعة، صبورة، محتسبة... صفاتها الخلقية لا عدّ لها ولا حصر، إنها سليلة الأصالة العثمانية المهيبة، وبنّت أرض الأناضول المهبّاة، هي منذ الميلاد في موقع متقدّم من مواقع الحضارة والريادة، حتى وإن جفاها القدر ببعض الضرر، ورماها الزمان ببعض المحن...

أنا لا أصف فتاة لهائم كيما يخطبها، ولا أعدّ "بروفة" لممثّلة قد تغري بعض خفاف العقول، ولا أرسم لوحة لأميرة من العائلات الثرية الأرستقراطية... وإنما أنقل صفحة من عمق المجتمع التركي، وبالضبط من "حي شعبيّ قريب من المطار"، فوق جسر "الميتروباس"، بجوار مسجد صغير أتيق، حيث المارة -وبخاصة في الليل- يُعدّون بالآلاف،

وحيث الحياة تدبُّ لحظة خمودها في أماكن أخرى من العالم...

والتاريخ، في اعتقادي، وعند بعض المحققين، ليس هو تاريخ الملوك والحروب، وإنما هو تاريخ الإنسان بكلِّ أحلامه وآماله وآلامه، تاريخ بني البشر في علاقتهم ببعضهم البعض، وبالحياة، وبالوظيفة، وبالرزق، وبالسياسة... الخ.

سألته بلغة قد لا تفهمها، فأجابته بلغة لم أفهم منها شيئاً، لكنَّ الرسالة انتقلت بيننا مائة في المائة، بلغة الإشارات والتفاسيم والإيماءات...

قلت: من أنت، وما اسمك؟

قالت: هتون؟

قلت: اسمك جميل، ما معناه؟

فأشارت إلى السماء: السحابة! (وعلمتُ بعد ذلك، أنَّ معناه السحابة المثقلة بالمطر)

قلت: ماذا تعملين هنا؟ وقد لاحظتُ فرناً، وعجينا، ويدينَ تعملان بخفَّة ورشاقة، رغم أنها في حوار معي، ورغم عُمُرها الكبير...

أجابت: "بورك" (وهو أشبه بالمحاجب عندنا)

قلت: كم تبعين في اليوم، لا بل في الليلة؟

قالت: أكثر من مائة، غالباً...

سألت: كم ثمن الواحد؟

قالت: ليرة تركية ونصف...

فطلبتُ بضع قطع من "البورك" اللذيذ، وشكرتها، فودَّعتها... ذلك أني لاحظتُ الزبائن يتوافدون، وأنا على رأي المثل "ويل للشجيِّ من الخليِّ"،

فخفت أن ينالني هذا الثبور والويل...

وفي الطريق، وكان بجواري ولدي الربيع، سألته: هل تعرف ماذا يعني
مائة قطعة بليرة ونصف الليرة، في ساعتين، أو ثلاث ساعات؟
قال: طبعاً، مائة وخمسون ليرة.

قلت: وهل تعرف لو حوّلناه إلى الدينار الجزائري كم يكون؟
تردد، وسكت!

قلت: هو مبلغ عشرة آلاف وخمسمائة دينار، أي مليون سنتيم،
وخمسون ألف سنتيم!
قال: ماذا تعني بهذه المقارنة؟

قلت: في فمي ماء...
ثم صمتُ طويلاً... وأنا أردّد بنبرة خافتة "طبّاخة العجين، وطبّاخ
البنين!... طبّاخة العجين، وطبّاخ البنين!... طبّاخة العجين، وطبّاخ البنين!"

* * *

طبّاخ البنين^(١)

منذ بضعة أشهر، كنتُ على متن حافلة تقلّني من العاصمة إلى وهران،
وإذا بي أجاور رجلاً، ساقني القدر إلى جنبه، فتأملت فيه كثيراً، ولعلّه هو
كذلك تأمل في كثيراً... ومن طبيعة الناس في هذه السنوات العجاف،
أنهم لا يتكلّمون مع أحد إلاّ إذا استأنسوا منه خيراً... فالفتنة قد أحالت

١ ملاحظة لا بدّ منها: مصطلح "طبّاخ البنين"، لا يُقصد منه الانتقاص من الأستاذ والمعلم، بل هو من قبيل المشاكلة فقط، ولأنّ طبخ البنين أصعب وأخطر وأعظم أمراً من كلّ طبخ آخر... من مثل طبخ القوانين التي تضيق على الأستاذ خناقها، وتعطي لصاحب "حرز السياسة" مكانة!.

الأخضر عُثَاءُ أَحْوَى، وزلزلت العلاقات بين بني البشر، ولذلك قال عنها رسول الرحمة ﷺ: "الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها...".

بعد حين من الزمن، توجَّهْتُ إليه، وأعدت السلام ثانية: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أجابني: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

سألته: ما اسمك؟ ومن أين أنت؟

قال: عبد القادر، أنا من مدينة تيارت، معلِّم متقاعد!

فعرَّفت نفسي كذلك، وزيادة، ثم سألته: كيف تقوِّم سنوات التدريس والتعليم التي قضيتها من عمرك؟

قال: أمَّا ضميري، فمرتاح، ومطمئنٌّ، والحمد لله... وأمَّا... وأمَّا...

سكَّتَ هنيهةً، وواصل: وأمَّا ما سوى ذلك، فنسأل الله أن يلهمنا

الصبر!

تظاهرتُ بعدم فهم ما يقصد، فقلت: ماذا تعني من قولك "ما سوى

ذلك؟"

قال: الكرامة... الكرامة... الكرامة!... ثم تأتي أمور أخرى، مثل

الاستغناء عن الناس، وكفالة العائلة، والعيش مثل باقي البشر...

لم أتمالك، واستذكرتُ دعاءً مأثوراً، فقرأته بجهر: "اللهم لا تكلنا إلى

أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين... يا أرحم الراحمين"

ثم سألته: هلاًّ شرحت ما تقول، ويَبِّنت مغزاه؟

أخذ نفساً عميقاً، ثم ألقاه متأوهاً، فقال: أخي، أو بني -فأنت في

عمر ولدي- إني قد اخترت مهنة التعليم حباً في هذا الوطن، وطمعاً في

مستقبل زاهر لهذه الأمة، واجتهدت ما كتب الله لي أن أجتهد، فصبرت على الحرِّ والقرِّ، وبِتُّ ليالي على الجوع والطوى... فمرَّت السنين تطويها السنين، ثم كانت المدرسة عندنا آخرهم من هموم أغلب الساسة وأصحاب القرار، بل كانت عدوهم الأول، وكان المثقفون والمعلِّمون والمتعلِّمون هم "شرُّ الناس، والعالة على المجتمع، وأراذل القوم!"... فحوربوا، ولوحقوا، وشرّدوا، وفقّروا، وأحوجوا... وها أنت ترى أمامك أحد هؤلاء المعلِّمين، فهو ليس أشقاها، ولكنه أحد منهم!

توجّست شراً من حاله، وسألته: أستاذي، ما بك؟ وهل ألم بك ضرٌّ؟ قال: نعم، فابنتي البالغة من العمر سنّ البلوغ، ابتليت بمرض عضال، كلّفني الكثير، وأنا لا أملك حقّ الدواء، فما بالك بالعمليات الجراحية، أو بالسفر إلى الخارج للمداواة!؟

قلت: فكيف تتصرّف؟

قال: محتاجا للناس... إنهم -سامحهم الله- أحوجونا، وأشبعوا "لاعيبين"، و"مغنين"، و"شبابا محتالا"...

فسألته بجرأة: وكم كنت تتقاضى من الأجرة؟

قال: حوالي ثلاثين ألف... دينار، لا تقضي لي حاجة... وأمّا الآن، فالتقاعد أنقص من هذا المبلغ كثيرا... وهكذا يا بنيّ من كلّف بتربية البنين، وباعداد الأجيال!؟

ثم أردف مستدركا ومصححا: نحن لا نبتغي الغنى، فقد آثرنا الحياة البسيطة، لكننا كذلك لا نقبل الذل، ولا الحاجة، ولا قلة ذات اليد... مما يسلبنا الكرامة والعزة والحياة العفيفة.

سُرعان من انتهت الرحلة، وودّعت الرجل الشريف الأبيّ، داعيا الله أن لا يبخسه أجره، وأن يفرّج عنه وعن أمثاله... وعن أمّتنا ووطننا وأهلنا...

* * *

طبّاخة العجين، وطبّاخ البنين

عودٌ على بدءٍ، إلى تركيا، وإلى الأخت "هيتون"... في تلكم اللحظة التي كنت أحاور ابني، كانت صورة "الأستاذ عبد القادر" تلاحق عقلي، وتجرح مشاعري... ففكّرت ملياً، وإذا بي أنادي: "طبّاخة العجين، وطبّاخ البنين!".

تذكّرت أنّ تلكم المرأة، في تلكم الحالة، وهذا الرجل، في أولئك الموقف... تحظى بأجرة أعلى منه بعشر مرات كاملة!، ولقد يقاطعني أحد ويقول: كذلك الحياة أغلى، ولكنني أستدرك، وأقول: بكم مرّة؟ ثلاث...؟ أربع مرات؟ ها نحن في وضع المرأة الطبّاخة للعجين أحسنّ حالا من الرجل الطبّاخ للبنين بخمس مرّات أو أربع أو ثلاث... لا يهمّ...

وقلت لابني الربيع: تصوّر أنّ معلّمك يتبرّع لك بثلاثي قيمة دراستك، وأنّ أهلك -في المدرسة الخاصة- يدفعون الثلث، والحكومة هي الدافعة للثلث في المدارس العمومية... أفلا يستحق هذا المجاهد منّا وقفة، ومراجعة، وإعادة اعتبار؟!

وتذكّرت يوم بدأت مشاريع المدارس العلمية، وهي لما تبلغ بعد المبتغى، قلنا حينها: "إنّ المعلّم الكريم هو الذي يمنح الكرامة للتلميذ!"، وحاولنا ولا نزال نحاول، وقد حقّقنا شيئاً، وبقيت أشياء... ومع ذلك فالأجرة، والمال، ليس هو كلُّ شيء... فثمة معانٍ أكبر وأعظم... ينبغي أن

ننظر فيها وإليها، ونحن نقارن بين "طبّاخة العجين، وطبّاخ البنين!"؛ وهي معاني الحضارة، والأخلاق... وغيرها...

ولقد وصفتُ -في مقالتي هذا- تلکم المرأة بأنها: "عمّالة، منظّمة، منضبطة، فنانة، واضحة، دقيقة، سريعة، صبورة، محتسبة..." فهل طبّاخ البنين عندنا، هو دائما كذلك؟!

طبعاً، أنا أستثني الكثير ممن هو كذلك وأعظمُ من ذلك، ولكنني مع ذلك أسجّل أن الكثير هم -للأسف- خلاف ذلك!

فكيف إذن أقيم موازنة بين "طبّاخة العجين... وطبّاخ البنين"؟ ومن أيّ وجهة؟ وعلى أيّ مقياس؟

أترك الباقي للقارئ، وللمعلّم، وللتلميذ، وللوليّ... ولكلّ غيور، داعياً الله أن يسدّد مقولتنا ورأينا، ويهدينا سبل السلام والرشد والرشاد..



مسرّد المصطلحات والمفاهيم المعرفية الواردة في الكتاب



الابتداع	الأزمة المعرفية
الإبداع والتوليد	إزمير، مطار الخدمة ومصعدها
الإبستمولوجيا	أسباب الإمكان الحضاريّ
الأبعاد الإيمانية النافذة	الأسباب الأولى
أبعاد العلم	أسباب الحضارة
أثناء استكشافنا خطَّ السير	الأسباب الحقيقية
الاجتهاد	الأسباب الدعوية الحضارية
الاحترافية	أسباب الرشد وموانعه
الاحتمالات	الأسباب الظاهرة والباطنة
إحياء الهجرة	الأسباب الظاهرية المادية المباشرة
اختلاف الأهداف	الأسباب العقلية المعرفية
الإخلاص	الأسباب الفنية الجمالية
الأدب رسولُ الفكر والحركة	الأسباب القلبية الإيمانية
الادعائية	أسباب المدّ الحركيّ الفعليّ
ادفن نفسك في غياهب النسيان	الأسباب ستارٌ لمشيتة الله تعالى وقضائه
إذا امتنعت الأسباب امتنعت النتائج	الأسباب لطفٌ إلهي ذو حكمة
إذا تمت الأسباب جاءت النتائج متناسقة	الأسباب والمسببات
الإرادة والقدرة	الأسباب وسيلة لنا لتنفيذ التكاليف التي علينا
أرض المجاهدة والذكر والفكر	الأستاذ، الأوجا
ارفع شعار الثورة ضدَّ كلّ مألوف	الأستاذ، المعلّم المرَبّي
إرقِ على كلّ المعادلات	الأستاذ، المؤسّس
أركان ظاهرة الحضارة	الاستحالة

الإستراتيجيات المختلفة	إشكالية الانفصام بين العلم والعمل
الاسترخاء الذهني	الأصالة العثمانية المهيبة
الاستسلام لعالم الأسباب	أصحاب الأرواح السامية بالعرفان
الاستسلام للحكمة	أصول الإدارة والاقتصاد
الاستناد إلى الله	أصول الإيمان والتزكية
استنطاق الإشارات	أصول التكوين والعمارة
استنطاق الأشخاص	الأصول العشرون لحسن البناء
استنطاق الحوادث	أصول المعرفة والسلوك/والمعاشرة
استنطاق المؤسسات	إعادة السبب إلى المقدمات
استنطاق النصوص	اعتبار الفروق والبيئة والمرحلة
الإسلام إبداع وريادة	الاعتبارات الكلامية
الإسلام إيمان وعمل	أعداء الأمة ثلاثة: الجهل، والفقر، والفرقة
الإسلام تخطيط وتنفيذ	الأعضاء المنتشرة في العقبى
الإسلام حركية وفكر	الإعلام النظيف: أساسه قيم الإسلام
الإسلام حضارة	الإعلام النظيف: شكله روح العصر
الإسلام دين عالمي اللُّحمة، كوني الوجهة	أعماق عالم الإيمان
الإسلام رشد كلُّه	أعمدة الحضارة: التربية، والفن، والأخلاق
الإسلام شيء، وفهم الإسلام شيء آخر	آفاق مرجّبات فكرية مختلفة
الإسلام علم وعمل	أفق اللاهوت/الأفق اللاهوتي
الإسلام عمارة	أفكار كولن كيانات حية تنبض بالحياة
الإسلام ليس محلّي النزعة، ولا قروي	الإقصائية
المشرب	الأكاديمية
الإسلام نظام إلهي يربط العلم بالعمل	إمام الذكر والدعاء
الأسلوب الإيمانّي الإيجابي للفرد والمجتمع	الإمبريالية
أسئلة العصر المحيطة	الأمثلة المشوّشة
الإشعار بوجود الله	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
إشكالات التخلف والحضارة	الإمكان الحضاري

الإنساني	إنَّ للجسيمات إرادة، ليست بالضرورة ملتزمة
الانسياق الذاتي	بمنظومة الأسباب
الانقسام المعرفي بين الحركية والفكر	أن نغيّر يعني أننا نتعلم
أنماط العرض	الانبعاث الثاني
أنماط فكرية جديدة	الانبهار الذهني
الأهداف	انتقال المعرفة من المداخل إلى المخارج عبر
الأهداف السامية والمثل العليا	العقل
إهمال الأسباب محض جبرية وضلالة بالحاصل	الانتماء المذهبيّ الإقصائيّ
الأوامر التشريعية	الانتماءات الضميّة
الأوامر التكوينية	الإنجاز حضاريّ
الأوهام	الانخراط في المجتمع
أوهام السوق	أنسام أخروية، ومشاعر لاهوتية التلؤن
أوهام القبيلة	إنسان التخطيط
أوهام الكهف	الإنسان الجديد
أوهام المسرح	الإنسان الرّبّاني
البحث المنهجي	إنسان الفكر والحركية
البحث في اللغة والمنطق	الإنسان الكامل
بحوث الفعل	الإنسان الكونيّ الزمان
البدعة	الإنسان الكونيّ المكان
بذور الحبّ والعشق والشوق	إنسان النظر
البراديم الجديد	إنسان بالفعل
البراديم الكلاسيكي	إنسان بالقوّة
البراديم كولن	الإنسان عاجز عن إدراك كلّ الأسباب
برامج جديدة	الإنسان غير الطبيعيّ/المادي
برك الماء العقيمة والمحرومة من البركة	الإنسان في الخلوة كالفرجال
برنامج الانسياق المشترك	الإنسان والدولة والزمن
البرهان على وجود الله	الإنسان/الإنسان

البعد الحركي العالمي الحضاري للإسلام	التجزيء والاختزال
البعد الحركي للدلالة والتعريف	التجزئية
البعد الديني والعقوبي الغائر في الأعماق	التحرُّر من القوالب والأنماط
البعد العقدي الإيماني لمبدأ المعيّنة	التحرُّر من المستحيل إلى الممكن
البعد المعنوي في الأعمال	التحرُّر من قيود الزمان
البُعد الموجي المختلف القوّة	تحرك آلة السلوك والجوارح
بقاؤنا بذاتيتنا يمر عبر انبعاثنا بذاتيتنا	التحرُّك وفق إدراك حقيقة الفانيات الزائلات
البناء الإبداعِي المرغَّب	تحريك قسم من مصادر قوّة اليوم لحساب
بنية لغوية مجرّدة	المستقبل
البنوية	التحسيني
البيان	التحليل المضموني الكلاسيكي
بيوت الطلبة	تحليل ظاهرة الفنّ
البيئة الصالحة	التحليل والتركيب والمقارنة
تاريخ العلوم	تحوّل أفكار الأستاذ إلى مشاريع حضارية في
التاريخ هو تاريخ الإنسان بكلّ أحلامه وآماله	أزمان قياسية
وآلامه	تحوّل السلوك إلى لسان ناطق بتصديق الحقّ
تأصيل الأفعال	تحوّل اللسان كفرص من لالكلمة الطيبة
التأصيل الشرعي للتخطيط	تحول المعرفة إلى سلوك
التأليه	تحوّل المعلومات إلى معرفة
التجاوز	تحوّل في البراديم
تجاوز الذات الإنسانية الطبيعية	التحوّل من إسلام القوة إلى قوة الإسلام
تجاوز الزمن الحاضر	تحويل البلاد إلى مشاغل لثقافتنا الذاتية
تجاوز مراقبة المخلوق إلى مراقبة الخالق	تحويل ما في الوجدان إلى الواقع وخطّ الزمان
التجربة البشرية النسبية المحتملة للخطأ	التخصّص
التجربة البنائية الشمولية الحضارية المتكاملة	تخطّي الأسباب الظاهرية
التجربة قابلة للتعميم	التخطيط في الكون يوجب التخطيط في الحركة
تجربة كولن	التخطيط وفن استشراف المستقبل

التطور المادي	التخلف والانهازم والذلة نتائج لأسباب سابقة
التعارض الحركي	لها
التعاريف الاصطلاحية	التدافع الحضاري
التعاريف الفلسفية	التدقيق
التعاريف القاموسية	التراب
التعاريف المعرفية	ترابينة قاتلة
تعريض فكر المسلمين لصعقات كهربائية	التراكم العلمي والتجريبي
تعريفات تصل بين المادة والمعنى	التربية أساس لكل الانتصارات
التعصّب للمذهب	التربية بالخبرة
تعلم التخطيط	التركيب
التعلم عن طريق الممارسة والخبرة والفعل	تركيبية الظاهرة
تعليم أسرار الحياة	التزؤماتر
تعليم التخطيط	التساقط الحركي
التعليم بدئل عن الشعارات	التسامي على كل المقاييس
التعميم	التسرع والاستعجال
التغريبي الحاقد	تسطير المخططات
تغيير الذات والآخرين	التصرف الحركي والتخطيط المحكم
تغيير النماذج الإدراكية	التصرف السقيم
التفرغ	التصرف المفرط للحروفية
التفسير العقلاني للظاهرة	التصرفات الذاتية للأستاذ
التفسيرات الخرافية	التصرفات العفوية، والسلوك الواعي
تفعيل المعارف	تصرف الفكر إلى الفعل
التفكير في المستقبل	التصور والخطة والموقف
تقنيات التعليم	التصورات الروحية والمعنوية
التكامل بين الخوف والرجاء	التصوفية المتخبرة الخالية من الروح
التكامل بين الظاهر والباطن	تطبيق المعرفة
التكامل بين القول والفعل	تطبيق النموذج

التكامل بين المبدأ والمنتهى	تيار الحضارة
تكثيف النموذج وصفله	الثانوية الفنية
تكرار النتيجة بتكرار السبب	الثغرات العاطفية
تلازم السبب والنتيجة حتما	الثقافة العالمية
التلال الزمردية	ثقافتنا الرصينة
تمثّل الصفات التشريعية	ثقة المعلم في المتعلم
تمثّل الصفات التكوينية لله تعالى	الثنائيات الاختزالية
التمثّل الواقعي الميداني الحضاري	ثنائيات الحياة: المادة والروح، الدين
تمثّل تجليات صفات الله تعالى في الأقوال	والسياسة، العلم والفن
والأفعال، وفي السلوك والصفات	الثنائية الإقصائية الجدلية
تمثل فزيائي	ثنائية الإنسان والطبيعة
التمثّلات الحضارية في حركية الخدمة	ثنائية الخالق والمخلوق الفضفاضة
التمكين في الأرض	الثنائية الكلاسيكية
التمييز بين الذين يَحْيُونَ والذين يُحْيُونَ	الثورة المعرفية
التناسب بين السبب والنتيجة	الجاهزية الذهنية
التنكر الذهني	الجدل الكلامي
التنكّر لذاتية الإنسان	جدلية الدنيا والآخرة
تهافت التهافت	جدلية الكيف والكم
تهافت الفلاسفة	جدلية المادة والروح
التوازن الروحي	جدلية الهداية والضلال
التوافق والمواءمة والانسجام	جذور المعنى لثقافتنا الملية
التوجيه الجمالي مدخل أساس للحضارة	الجذور الموعلة في الدنيا
التوجيه الحركي الحضاري	جذورنا المعنوية والروحية
التوجيه العملي	الجرم العقدي
التوسل	جريدة زمان
التوسل بالسعي	الجماعة
تيار الإيمان	جماعة الخدمة

الجماعة الدينية	حركة من اللسان مباشرة إلى الجنان والقلب
الجمع بين الفعل والدعاء	الحركة والفكر
الجمع بين القلب والعقل والجوارح	حركة وفكر قادران على تغيير الذات والآخرين
الجمع بين المسطور والمنظور	الحرية للتعلم
الجمع بين الوجدان والفكر والعمل	حساسية كل شيء بالظروف الأولية لنشأته
الجهاد	حسن التصرف في الأشياء
جوامع الكلم	حضارة الرشد والرشاد
جيل الحداثة	حضارة الفكر والفعل
جينوم الفكر	حضارة القلب والعقل والمادة
الحاجي	الحضارة والتطور والتفوق كلها نتائج لأسباب معينة
حال الدهشة والحيرة والبيكاء	الحفاظ على الثواب والمنطلقات
حال المداخلة في الأشياء	حفنة من المجاني
حالة الانفصام	الحقائق
حالة المتلقي النفسية والاجتماعية والمعرفية	الحقل المعرفي والحضاري
الحب الشديد لرسول الله	الحقيقة
الحداثة وما بعد الحداثة	حقيقة كنه صفات الله تعالى
الحدس المعنوي الباطني الإيمان القلبي	حكم الإيمان
الحرفية واللفظية والنصية	الحلول العملية المجربة
الحركة	الحملات الفردية
الحركة الاجتماعية	الحوار الرياضي والمعرفي
الحركة المشتركة	الحوار والتسامح وتقبل الآخر
الحركة من الواقع إلى العقل، ومن العقل إلى الواقع	حياة الألفاظ في فكر الأستاذ
حركة وحركية ضمن عالم الأسباب	الحيز الطبيعي/المادي
حركة وحركية في عالم الأسباب	حين يصير الإعلام نظيفاً
الحركي	خارج دائرة الزمن
الحركات الإسلامية	الخبرة

خدمة الخلق إرضاء للحق	الدلالات الخفية العميقة القلبية الخاصة
الخرافات	دلالة الأسماء والأحكام والصفات
الخروج من دائرة الحكم الشرعي	الدلالة الاصطلاحية التخصصية
الخريطة الإدراكية	دليل الخطاب
الخريطة الجينية الإدراكية للمؤسسة	دمى تمثل فلسفة حياة الآخرين
الخريطة الشمولية لجوانب الخدمة	الدنيا ليست بدار شكوى بل دار تحوّل
خزينة الأستاذ الثقافية	دوامات الفوضى
خزينة البرادتم كولن	الدور الفلسفي
الخصلة التي تحقّق ذاتية الشيء	الدينامو
الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي	الذاتية
خُصُر التخطيط	ذاتية اتباع الأسباب
الخطُ التصاعديّ الديناميكيّ الحركيّ	ذاتية التغيير
خطُ الزمن	ذروة الحركة والفعالية
الخط الفاصل/الواصل بين الفكر والفعل	الذكر
خطُ المسير والمصير في فكر الأستاذ	الذكر والفكر
الخطُ الممتدّ من الكون إلى الحياة	الذوق الجماليّ
الخلاف مصدر الغنى الفكري	رأس مال الحضارة
الخلل في عجز المسلم وليس في قوّة الكافر	الراسم للخطوط العريضة
الخلوة الماورائية	الربط بين الأسباب والنتيجة صفة لازمة
خوارم المروءة	للخدمة
خيوط فهم الكون	الربط بين القلب والحركة
الداعي	رجل القلب
الدرس عوضاً عن الكلام	رحلة تتبع الأسباب
الدعاء	الرحمة والشفقة سببان في التأثير الإيجابي
دعاء جوشكن	الرحمة والشفقة سببان في القدرة على تحويل
دعوا الشمس تسطع بهدوء	المخططات والبرامج إلى واقع وحياة وإمكان
الدعوة بالحال	رسالة الإحياء

الرؤية الكونية لخليفة الله في الأرض	الرشد الاجتماعي
رؤية تجليات الأسماء الحسنى	الرشد الجزئي الخاص بمجال معين
الرياضة النفسية والإيمانية	الرشد الجماعي
الرياضي يجمع بين الرياضيات وقوانينها	الرشد الحضاري
فكريًا	الرشد الخُلقي والعاطفي والديني
الرياضيات صنو الإيمان	الرشد الشامل لكلّ مناحي الحياة
الرياضيات وسيلة وأداة للتفكير السليم	الرشد الشامل هو منتهى الديانات
الزعيم الروحي	الرشد الفردي
السبب الذاتي للتخلف والتبعية	الرشد المدني
سجن النفس	الرشد النظامي الخلقي الجمالي
سداد المسلك في علّة ما أنت بصده	الرشد النفسي
سرّ الدعوة	الرشد ثمرة للجهد
سرّ تنتظره الدنيا	الرشد جميعه من روح الإسلام
سرّ قيام الحضارات	الرشد لا يكون إلا بالصبر
السرد الزمني النمطي	الرشد يأتي باتخاذ الأسباب بعد إدراكها
سعادة الزبون، لا رضاه فقط	الرفض المطلق
شلافة الحضارة	رقّة الروح
السلبات	رهافة الحسّ
سلسلة الأسباب	الرهبانية
سلم الاحترام، لا سلم التسلّط	روح التاريخ
سلم الشعارات والاعتبارات	روح الدين
السمت الإيماني التربوي الأخلاقي	روح العدالة في الشريعة الفطرية
سمفونية الحفر	روحية النفير العام
سمو الذوق	الرؤى الكونية
السمو العقلي والحركي	الرؤية الاختزالية الظاهرية العقيمة
السنن الإلهية في لخلق	الرؤية الحسية الظاهرية اللغوية العقلية
سنن الله تعالى تلزمنّا بالتخطيط	الرؤية الفكرية المتناسقة

السؤال المحوري	الصور الشاملة الكونية المركبة
سورة الرشد: الكهف	الصور المجازية
سوق الكلام رائج في عصرنا	الصور المعرفية
السياسات والمشاريع المستقبلية	الصور النمطية
السياق	الصورة البلاغية
السياق القرآني	صياغة الأهداف بناء على الغايات
شاشة الوجدان	الضراعة
شباب الخدمة	ضرورة الفن لإقامة صرح حضاري
شروط التخطيط ثلاثة: الرسوخ في العلم،	الضروري
والحكمة، والحركة	ضغط الساعة واليوم
الشعارات الشكلية الجامدة	الضمير الجمعي
الشعائر	الطاقة الفردية
الشكل الحلزوني في التحليل	الطاقة الكامنة
الشكل المنهجي الأكاديمي العميق	الطبيعة/المادة
الشكل في مواجهة المحتوى	الطبيعة المادية والإنسانية
شمولية النظرة	الطريق الثالث بين النسقين المغلق، المفتوح
الشمولية في التعريف	طريق الحضارة الوحيد، هو التربية والتعليم
الشمولية والحركة وإرادة الفعل وإدارته	الطريقة الصوفية
الشيء بذاته	طريقة تنظيم النص
الشيوعي المتطرف	طقوس الالتحاق
الصراع المذهبي	ظاهرة ارتباط الأسباب بالمسببات في عالم
صفاء القلب	الأنفس والآفاق
الصفات القرآنية سبب كل حضارة	ظاهرة الاستعمار
صفات ورثة الأرض	ظروف الاستعمار الفطرية والطبيعية
صفة الإسلام	الظروف الزمانية والمكانية
الصفة البشرية	العادة أورثت عقولنا الاعتقاد بالتلازم بين
الصور الإدراكية	السبب والنتيجة

عالم الأشخاص	العلاقة المتشابهة المعقدة اللانهائية
عالم الأفكار	العلاقة بين العلم والإرشاد
عالم الامتداد	العلاقة بين العلم والعمل
عالم الأنفس	العلاقة بين الفكر والفعل
عالم الجماعات	العلاقة بين القرآن والقلب
عالم الدين، بالدلالة التقليدية السكونية	العلاقة بين النموذج والواقع
عالم الدين، بالدلالة الحضارية الحركية	علم الجرح والتعديل
عالم الرياضيات المفعمة بالأسرار	علم المناخ
عالم المعتقدات	العلم النافع
العالم ينقسم إلى منظومتين: منظومة نبوية،	العلم النظري
ومنظومة فلسفية	العلم بمدلوله الاستقرائي
العبارات الموجزة العميقة (الحكم)	العلم دقيق، أما الفن فصادق
العجز ليس دليلا على العدم	العلماني الإقصائي
العزلة والمخالطة	العلوم التقليدية
عزم العمل	علوم السلوك
العزم والتوكل والإنجاز	العلوم العصرية
عشق الخدمة اغترابا	العلوم المنطقية والعقلية
عشق العلم	العلوم الميتافيزيقية
عقبة الاختزال والنمطية والتجزئية	العلوم الوضعية
العقل التوليدي	العلوم والتكنولوجيا
العقل الموسوعي	على كل مسلم أن يسير وفق هدف ومخطط
العقيدة بين الحفظ، والفهم، والفعالية	العمق الفكري
العلاقات	العمق والسعة
العلاقات الافتراضية	العمل الجماعي
العلاقات الشمولية	العمل الخاطئ
العلاقات المجردة الكامنة	العمل بالتخطيط
العلاقة الحلزونية	عملية التحليل

عملية التعريف	الفكر الرياضي
عملية التعريف: الاسم، والفكرة، فالمفهوم	الفكر العام
عملية تطوير المنظومة العلمية للمؤسسة	الفكر العربي المعاصر
العناصر الإنسانية المرغبة	الفكر العملي البنائي الحضاري
العناصر البسيطة	الفكر القرآني التربوي الأخلاقي
العندية	فكر القوانين الرياضية
العنصر الأساس في الأدب هو المعنى	الفكر المجرد
العوالم الثلاثة: الله، والإنسان، والكون	الفكر المضموني
الغالب والنسي	الفكر الممنهج
الغاية	الفكر شمولي
فاعلية العقيدة وقوتها الإيجابية وتأثيرها	فكر يسنده فعل، وفعل يسبقه فكر
الاجتماعي	فلسفة التربية
فاعلية المعنى في النسق الفكري للأستاذ	فلسفة الحياة
الفراغنة الصغار	فلسفة العلوم
الفزياء الكمومية	فلسفة حياة ذاتية
فشل المنظومة البشرية الفلسفية	الفن سبب من أسباب الرشد
الفعالية	الفن طائر فكري
الفعل الحضاري البنائي التربوي	الفن، المفتاح السحري للحضارة
الفعل المجرد	الفهم الشمولي الكوني للإسلام
الفعل المنظم	في البدء كان الحفر
فقه الأولويات	فيزياء الوجود وكيمياؤه وحياتياته وفضائياته
فقه التحيز	القابليات المحدودة
فقه الحضارات	القابلية للاستخفاف
فقه الرشد	القابلية للاستعمار
فقه العبادات	القانون الإلهي
فقه مراتب الأعمال	قانون الزمن
الفكر الإقصائي التبريري	قانون العلية والمعينية

القبول المطلق	كتاب الكائنات
القدر الجبري المهيمن في الكون	كتاب الوجود
القدرات الخلافة للشعوب المسلمة	الكفاءة والفعالية، معاً، بكلّ المقاييس
القدرة البلاغية	كلّ تخلف منشؤه الإعراض عن كلام الله تعالى
قدرة تفسيرية عالية	كلّ سبب اليوم سيؤدّي إلى نتيجة حتمية غدا
القدرة على الإنتاج (CP)	كلّ سبب لا بدّ أن يؤدّي إلى مسببه، والكلّ من خلق الله تعالى
القدرية والجبرية	كلّ شيء مخلوق بنظام محكم
القراءة الاختزالية	كلّ نتيجة اليوم لها سبب
القراءة الوصفية	الكلمة أهمّ واسطة لانتقال الأفكار
القرآن الكريم تجلّ لصفات الله تعالى	الكلّي والمطلق
قطب الناسوت	للدويان
قطعة جليد سقطت في الماء واستسلمت	كليات العقيدة
قلوب تشربت المحبّة	كلية الإلهيات
القناعة الخاطئة	كهف يبكون
القواسم المشتركة بين المسلمين	كهوف الأوهام
قواعد الشريعة الفطرية	الكون الزماني والمكاني
قوالب بشرية	لا شيء خُلِق عبثاً
قوانين الكون وسننه	لا يجوز من السياسة إلّا ما وافق روح الشارع
القوانين والعلاقات	اللافاعلية
القوة الجاذبة إلى المركز	اللدنية
قوة تفسيرية عالية	لسلسلة الأسباب قانون يحكمها
قياس الفارق بين المأمول والمعمول	لكلّ شيء دور في سلسلة الموجودات
قياس الفارق بين ما ينبغي أن يكون وبين ما هو كائن	الله سبحانه خالق الأسباب والنتائج
القيم الذاتية	الله وحده هو الذي يعلم كلّ سبب وكلّ نتيجة
الكابسولات المغذية للروح والفكر	ليس كلّ الناس يدرك أسباب الأمور، ولا أسباب أسباب الأمور

اليونة والمرونة في الوسائل والآليات	محورية أسماء الله تعالى وصفاته
ما بعد المعرفة	مخارج المدركات
ماريونات الشعوب	المخالفة الحضارية
مأزق اللافعالية في الفكر الإسلامي المعاصر	المخالفة الفقهية
ماقبلات الإنسان	مختبرات تركيب وتحليل لمنطقنا ومحاكمتنا
الماورائيات	العقلية الذاتيتين
مبادئ التعلم	المخطط الاستراتيجي البعيد
المبادئ الستة	المخطط النظري
مبادئ الشرع الحنيف	مخطط فتح الله للتربية والتعليم
المبادئ أو القواعد	المخيمات الصيفية للعلوم الشرعية
المبادئ والمنطلقات	مداخل العلم والمعرفة
مبدأ الريية	المدارس العلمية
المبدأ المنهجي	المدارس النظامية الرسمية
المتزمن	مدارس برج
المثال التاريخي التعجيزي	مدارس ذات مقاييس عالمية
المجال المعرفي	مدارس فام (FEM) لصناعة الإنسان
مجالس الصحة	مدارس فام لصناعة الإنسان
المجانين	مدارس لفلسفة حياتنا الذاتية
مجاهدة النفس	مدارس من العالم الملائكي!
المجتهد في رسم الخطط والمقترحات	المدخل العقدي
مجمع الفيروسات ومأوى المكروبات	المدرسة الفكرية
محاورات فكرية حضارية	المدرسة الفلسفية
محاورة معرفية ابستمولوجية	المدرسة المضمونية
محاولات النهوض والإصلاح	المدرسة بديلا عن المهرجان
محور الوجدان	مدرسة ديفلين
المحور الوهبي	مدرسة شنيدر
محورية أسماء الله الحسنى	مدرسة في المنهج والموضوع

المدركات الحسية والعقلية	المرشد
المدركات الدلالية واللغوية	مركز بحوث فتح الله كولن
المدركات الواعية الفاعلة	المرونة والليونة
المدعُو	المستعجل
المدَّعون الكبار	مستويات المعرفة
المدلول	مسلك الدعوة إلى الله
مدلول الورع الانعزالي، الجزئي، النمطي	مسلم غير راشد
مدلول الورع الحركي، الشمولي، الإبداعي	المسلّمات
المذهب الديني	مشاريع الأستاذ
المذهبية	مشاريع كولن التربوية
المذهبية فقه لا عصبية	المشروع الحضاري الشمولي العالمي
المراحل السبعة لتحويل المعرفة إلى سلوك	مشكلات الحضارة
مراسد للحقيقة الكامنة خلف الوجود والحياة	مشكلة التصنيف
والإنسان	مشكلة الحدّ الفاصل
مراعاة الحال والمآل	مشكلتنا التصنيف والحدّ الفاصل
المراقبة	المشوار التعلّمي-العملي، الفكري-الحضاري
المراقبة الإعلامية للصيقة	المشي في السبات، والتكلم في النوم
المرجعية الكامنة المادية	مصادرنا الذاتية
المرجعية المتجاوزة	المصدر الوحيد للفن هو مخافة الله تعالى
مرحلة التمثّل الميداني	والنظر إلى يدع صناعه
مرحلة المفاهيم	مصدرية السنة النبوية
مرحلة الميلاد النظري	مصدرية القرآن الكريم
مرحلة النضج البشري	المضامين المباشرة
مرحلة النضج الطبيعي	المطيافية
مرحلة النضج المادي	معادلة الحضارة
مرحلة النضج المعرفي	المعارف (Les savoirs)
مرحلة النضج المعنوي	المعالجة الحقيقية لا تكون في الأسباب

الخارجية بل في الأسباب الداخلية الذاتية	مقام الفهم والاستقراء لأسرار سنّة الله
مُعَامِل الحضارة	مقاييس العالم الحديث
المعاني الخارجية العقلية العامة	المقاييس المعروفة
معايير أكاديمية وعلمية	مقاييس مشاريع الخدمة
المعايير المألوفة	مكّوك الإدارة والمنطق
معايير خلقية وسلوكية	الملائكية
المعتقدات (Les croyances)	مَنْ أَحَبَّ تَعَلَّمَ وَعَلَّمَ
المعرفة الإنسانية القصيرة والقاصرة	مِنْ الجسد إلى الروح
معرفة الحق سبحانه حق المعرفة	مِنْ الشريعة إلى التصوف
المعرفة، والتعارف، والاعتراف	مِنْ العزلة إلى المخالطة
معضلة الفرد المسلم تكمن في خمسة أمور:	مِنْ الفكر الإنساني إلى أعماق الوجود
الثقافة، الأخلاق، التخطيط، التنظيم، التنفيذ	مِنْ الفوضى إلى النظام
معطيات الظروف والبيئة العامة	مِنْ الفيزياء إلى ما وراء الفيزياء
المعلّم الكريم هو الذي يمنح الكرامة للتلميذ	مِنْ المادّة إلى الطاقة
المعلومات	مَنْ ضَيَّقَ أَفْقَهُ أَبْعَدَهُ اللهُ عَنْ أسباب النصر
المعنى الشامل	مَنْ لَا فَنَ لَهُ شِبْهُ حَيٍّ، وَشِبْهُ مَيِّتٍ
معهد المناهج	مَنْ وَشَّعَ فِكْرَهُ يَسِّرَ اللهُ لَهُ سَبِيلَ التَّمَكِينِ
المعية الربانية	المناسبات بين البشر
المعنيّة/المعنيّة إلى حدّ ما	المناسبة بين السبب والنتيجة من لوازم التكليف
المغالطات	المناظير الكلاسيكية
المفاهيم الكلية الإسلامية	مناهج بحوث الفعل
المفاهيم والمصطلحات	المنع اللانهائي للضوء
المفتاح الطلسمي لخزائن الحقّ اللانهائية	المنه
مفهوم المخالفة	المنتج (P)
المقاربات	منتدى أبانت
مقاربات الفعلية والتفعيل	منتدى البحث العلمي
المقالات الحديثة الوجدانية التحليلية العفوية	منتدى الصحفيين

مهندسو العقل، وعمّال الفكر	منتدى الفنّ والثقافة
مهندسو عالمنا الفكري	منتدى المرأة
الموازنة التي في الأرض والسماء	منتدى أوراسيا
موجات الحبّ المؤقت	منتدى حوار الأديان والثقافات
الموجّه	منزلة المراجعات
مؤسسة الخدمة	المنطق العملي
الموضوعية والذاتية	المنطق القرآني المتعالي
موقع خلافة الله تعالى	منطق الكون والوجود يوجب التخطيط
مؤمن غير ناضج	المنطق والفكر الرياضي
المؤمن لا يسقط وإن اهتزّ	المنطلق من القرآن الكريم، وسنّة المصطفى
ميزان الألم	الأمين
الميلاد الأول	المنطلق/المنطلق الأخلاقي التربوي
الميلاد الثاني	المنطلقات المتجاوزة المتعالية المطلقة
الميلاد الحقيقي	المنطوق المسكوت عنه
ميلاد حضارة إسلامية هي حضارتنا الذاتية	منظور الإنسان
الناتج الحضاري	منظور المضمون
النبي سيّد المخطّطين	منظومة الأسباب سنّة من سنن الله تعالى
نحت النموذج	المنظومة الاستنباطية
نحو عالمنا	المنظومة الذاتية الرشيدة
النذير	المنظومة الفكرية القرآنية
النزعة الربانية	المنظومة المعرفية الرشيدة
نزعة السّلم	المنظومة الوضعية
نسبة الارتباط بالله في كلّ حركة وسكون	منهج الذكاءات المتعدّدة
النسبية	منهج الرشّد
نسج فقرات الحياة على العشق والحبّ	المنهج السلوكي
النسق التسلّطي السّلميّ الأحادي الاتجاه	مهرجان البكاء
النسق الحواري الحر المتعدد الاتجاه	المهندس الراسم للخريطة

النسق المغلق	النموذج الإدراكي لدى جماعة الخدمة
النسق المفتوح	النموذج الافتراضي
النشاط الدائمي الموج	نموذج الإنسان
نشوة العبادة	النموذج التفسيري
نظام الإسلام الأخلاقي والتربوي	نموذج الحساس المرهف
نظام الزمر	النموذج الدوغماتي
نظام العلوم واحد خالقه الله تعالى	نموذج الرشد
نظام فكري وفلسفة ملّية	نموذج الشمس والظل
النظام والقانون	نموذج العابد والمعبود
النظرة التيسيطية التسطيحية العقيمة	نموذج القلم
نظريات التعلم الكلاسيكية	نموذج القماش الزاهي
نظريات الكفاءة واللاكفاءة	النموذج الكولوني
نظرية التعليم	نموذج المجانين
النظرية التوحيدية الحضارية الشمولية	النموذج المعتاد
نظرية الفوضى	نموذج المهندس
نظرية القابلية للاستعمار	النموذج النظري
نظرية المعرفة	نموذج النمل
نظرية كل شيء	النموذج الواقعي البشري
نقطة الطاقة اللامتناهية	نموذج إنسان الفكر والحركة
نقطة العزم (energie)	نموذج وارثو الأرض
النماذج التحليلية أو الكامنة	النهايات
النماذج التفسيرية المركبة	الهجرة بمعناها المعاصر
النماذج الفاعلة الفعالة	الهجرة للدعوة
النماذج المعرفية	الهدف المنضبط
نموذج أفق القرآن الساحر	هلم إلّي يا إنسان
نموذج اقبلني يا رسول الله	وا إنسانيتاه
النموذج الاختزالي	وارثو الأرض

الوارثون الحقيقيون للحقائق التاريخية	الوصف العشوائي
الواقع الآني	وضوح الرؤية
الواقع التاريخي	وقف الصحفيين والكتّاب
الواقع اللفظي	وكالة جيهان
الوجدان	ونحن نبني حضارتنا
وجود الصقر، ينوّي مهارات العصفور	ونحن نقيم صرح الروح
وجودنا الحقيقي لا يتمّ إلاّ عبر الحركية والفكر	يثبت للمتناهي الصغر ما ثبت للمتناهي الكبر
وحدة الفكر والتطبيق	اليوم يوم الفعّال
الورع بدلالة الهجران والترك والاعتزال	
الوسائل	

ثبت

المشاريع العلمية المقترحة

الإنسان في الرؤية الكونية للأستاذ فتح الله كولن
تحليل مقال هذا موسم البكاء تحليلًا معرفيًا
الحد الفاصل ومشكلة التصنيف في البراديم كولن: الإنجاز يكتمل بعد
سنتين، وفي إطار فريق للبحث
الصورة المجازية عند كولن: عمل أدبي للأطفال
العلم عند كولن، بحث أكاديمي
العمل عند كولن، بحث أكاديمي
في مدارس كولن هل من مواد تعلّم التخطيط؟ وهل من مقرّرات وبرامج
للتخطيط؟

قاموس بمعاني المفردات التي يستخدمها الأستاذ
قاموس حكم الأستاذ فتح الله كولن
قاموس نماذج الأستاذ فتح الله كولن
مخطّط فتح الله للتربية والتعليم: جمع، وتحليل
المقرّر التربويّ في مختلف الفنون، في المؤسسات التربوية لمشاريع الخدمة
موسوعة المصطلحات والمفاهيم والتعريفات في فكر الأستاذ فتح الله كولن
نظرية المعرفة عند فتح الله كولن مقارنة بالمصلحين الآخرين